البيئة والأوبئة
في التراث الطبي العربي الإسلامي

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

1 اصدارات رابطة التدريسيين الجامعيين في نينوى

الطبعة الاولى
2020

البيئة والأوبئة

في التراث الطبي العربي الإسلامي

المؤلف	د. محمود الحاج قاسم محمد	البلد	العراق
الكتاب	البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي	نوعه	دراسة
الحجم	25*18	عدد الصفحات	107
الطبعة	الاولى		

ISBN-978-9922-9255-2-3

Copyright®
All Rights Reserved

الأفكار والآراء الواردة في هذا الكتاب تخص المؤلف فقط
والدار غير مسؤولة عن ما ورد فيه
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على
أي وجه أو بأي طريقة الكترونية أو ميكانيكية أو التصوير أو التسجيل إلا بموافقة
خطية من صاحب الحقوق

تصميم علي صميم

دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع
العراق – الموصل
المجموعة الثقافية
هاتف: 9647701664335+
E.mail: mashky2019@gmail.com

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البيئة والأوبئة
في التراث الطبي العربي الإسلامي

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

دراسة

الطبعة الأولى
1441هـ/2020م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شبكة
الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار . . وبعد

أقول في البداية، لقد فكرت طويلاً قبل أن أبدأ تأليف هذا الكتاب وترددت كثيراً قبل الإقدام عليه ، وذلك لأنني عندما بدأت كتابته (سنة 2016) كنا نمر في ظروف صعبة وأحداث تقصم الظهر يعرفها الجميع . وألفته في أوقات لا تصلح مطلقاً للتأليف، لأنه يشترط في المؤلف:

أولاً: هدوء البال وهذا لم يكن متوفراً فحسب وإنما كنا نعيش دوامة من الأحداث العنيفة وأياماً تتفجر قلقاً واضطراباً.

وثانياً : توفر المصادر ، والحصول على المصادر التي كنت بحاجة إليها كان لها طريقان الأول المكتبات (مكتبات الجامعة والمكتبة العامة ومكتبة المتحف ومكتبة الأوقاف بالموصل) التي كانت الأيدي الآثمة قد اغتالتها وأجهزت عليها ، والثاني هو الإنترنيت الذي كنا محرومين منه طوال تلك الأيام العجاف .

ومع كل ذلك فإن شعلة الحياة التي في نفسي لم تنطفئ ودفعتني لكي أمضي أفكر وأتأمل وأكتب متناسياً كل الهموم والمتاعب معتمداً على المصادر الخاصة في مكتبتي وعلى بعض ما كنت قد كتبته في مقالات متفرقة وفي حنايا كتبي مما له علاقة بموضوع الكتاب .

وهنا لا بد من الاعتراف بأن الباحث مهما طال به البحث يشعر بأن ما يجهله أكثر بكثير مما يعلمه ، وان ما خفي أضعاف ما ظهر له ، وأن غاية ما حصله هو أنه اغترف غرفة من بحر الحقيقة ، أملاً في أن يأتي آخرون يكملون المسيرة .

بعد هذا نعود لموضوع الكتاب فنقول :

لقد كانت رحلة البشر مع المرض صراعاً موغلاً في القدم، عنيفاً قدر شدة الأدواء التي يصادفها الإنسان ، مديداً ما امتدت الحياة على الأرض، ومن هذه العلاقة وهذا الصراع نجم التعرف على الأمراض وانتشارها ومعالجتها ومحاولة الوقاية منها .

إلا أنه باستعراض الكتب التي أرخت لتاريخ الطب العربي لا نجد سوى إشارات متناثرة لمفهوم الأوبئة والعدوى والأمراض المعدية والوقاية منها ، حيث لم ينل هذا الفرع المهم من فروع

الطب العناية الكافية من لدن مؤرخي الطب العربي ، الأمر الذي جعل جمعها وتصنيفها بشكل علمي أمراً في غاية الأهمية من نواحي عديدة :

أولاها : إبراز معرفة الأطباء العرب المسلمين بأهم الأمراض المعدية وكيفية الوقاية منها .

الثانية : تسليط الضوء على اكتشافاتهم للبعض من تلك الأمراض .

الثالثة : أن الأطباء العرب المسلمين لم يكونوا مجرد نقلة لطب الأمم السابقة بل قاموا بإضافة الكثير مما جادت به عبقريتهم في حقول الطب المختلفة منها هذا الحقل المهم .

وهذا ما نأمل أن نجده في كتابنا هذا ((البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي)) .

جاء الكتاب مكوناً من ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول : المفهوم العام للعدوى والأمراض : إحتوى هذا القسم خمسة فصول هي:

الفصل الأول : مفهوم العدوى والأمراض عند الأمم السابقة .

الفصل الثاني : مفهوم العدوى والأمراض المعدية والوباء في الإسلام .

الفصل الثالث : مفهوم العدوى والأمراض المعدية عند الأطباء العرب والمسلمين .

الفصل الرابع : الأمراض المعدية والسارية التي جاء ذكرها في الكتب الطبية العربية .

الفصل الخامس : الوقاية من الأمراض الوبائية بالتطعيم .

القسم الثاني : صحة البيئة والحفاظ على سلامتها في الإسلام والتراث : جاء هذا القسم مكوناً من فصلين :

الفصل الأول : وسائل الإسلام في حماية البيئة ومنع تلوثها .

الفصل الثاني : صحة البيئة والحفاظ على سلامتها في التراث الطبي العربي الإسلامي .

القسم الثالث : الأوبئة التي انتشرت في العالم عبر التاريخ :ضم هذا القسم أربعة فصول هي :

الفصل الأول : الأوبئة التي انتشرت في العصور القديمة .

الفصل الثاني : الأوبئة التي انتشرت في العصور الإسلامية .

الفصل الثالث : الأوبئة التي اجتاحت العراق في العهد العثماني ، ووسائل الوقاية منها .

الفصل الرابع : الأوبئة العالمية .

تلك هي الخطوط الرئيسية للكتاب، وأخيراً أقول بأنني حاولت أثناء تناولي للموضوع تحقيق درجة من البساطة تمكن القارئ الذي يعنيه الموضوع من الاستفادة منه. ومن نافلة القول بأنه مهما حاول المؤلف فإنه لن يستطيع الوصول للكمال في مؤلفه لذا أقول ، إذا لم

يكن كتابنا قد احتوى موضوع البيئة والأوبئة في التراث العربي كاملاً فحسبه أنه يعطي للقاري صورة تخطيطية سريعة للموضوع وبذلك أرجو أن يكون قد حقق الغرض الذي كتب من أجله .

وإنني إذ أحمد الله وأشكره على عونه وتوفيقه في إنجاز هذا الكتاب ،أدعوه تعالى أن يلهمنا الصواب وينفع به الباحثين والمطالعين ويرشدنا إلى السوي من الأقوال والأعمال إنه على كل شيء قدير .

وأخيراً لا يفوتني أن أذكر بالعرفان والامتنان للأستاذ أحمد عامر الدليمي والأستاذ المهندس علي صميم الصفّاوي على ما أسدياه من عون في طبع الكتاب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

العراق – الموصل /1441هـ/2020 م

شبكة
الألوكة

القسم الأول
المفهوم العام للعدوى والأمراض والأوبئة

شبكة
الألوكة

الفصل الأول
مفهوم العدوى والأمراض عند الأمم السابقة

يقول هنري سيجر جست في كتابه تاريخ الطب :

" اتضح من الدراسات الحديثة أن الطب القديم نشأ عن مجموعة معلومات دينية وطبية امتزجت وكونت الطب البدائي . وأن هذا الطب البدائي ما لبث أن تشعب إلى ثلاثة شعب متباينة هي ، الطب الروحاني والديني والحقيقي . حصل هذا التشعب أو الانفلاق منذ أزمنة غاية في القدم " [1]

أما أول من استنبط الطب فهو مختلف فيه ، فمنهم من يقولون بأنهم المصريون ، والبعض القليل يقول بأنهم الصينيون أو الهنود أو الفرس .

مفهوم العدوى والأمراض في طب وادي الر افدين :

لقد أصبح في حكم المؤكد لدى الكثيرين نتيجة المكتشفات الحديثة بأن سكان وادي الرافدين هم السباقون ، حيث ثبت أن ما وصل إلينا من طبهم يعتبر أقدم محاولات الإنسان في مسيرته التاريخية عبر العصور . الآشب[2] والآسي[3] رأيان في مسببات الأمراض. الآشب: يعتقد أن اقتراف ما يغضب الآلهة ، سواءً بعصيانها أو بالتقصير في عبادتها يجلب الويل والمرض على الشخص ، أو يؤدي إلى حرمانه من حمايتها فيقع ضحية هجوم الشياطين . الآسي : فهو من الذين ينظرون إلى الطب على أنه من المعارف الوضعية الوليدة من الملاحظة والتجربة ، ويرى أن سبب الأمراض أجسام غير منظورة تدخل الجسم مع الهواء عن طريق التنفس ، أو الأكل والشرب عن طريق الجهاز الهضمي أو مع الأوساخ عن طريق الجلد وهذا

---

[1]– حسن : الدكتور كمال – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، الطبعة الثانية 1964 ، ج1 ص119.

[2]– الآشب = الواصف = **wasipu** : وهوالذي يمارس إجراء الطقوس والتعاويذ لطرد الأرواح الشريرة ، ويعّزم للتخلص من الشياطين . الآسي = **asu** : "

[3]– ((الآسي = **asu** : " الاصطلاح آزو أو يازو في اللغة السومرية يعني (الطبيب) ومن اللغة السومرية انتقلت الكلمة إلى الأكدية تحت لفظ (آسو) وهي أيضا تشير عندهم إلى الطبيب والمعالج الشافي)) الجادر : د. وليد – العلاج والصيدلة في العراق القديم –بحث قدم للندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب– مركز إحياء التراث العلمي العربي – جامعة بغداد 1989 .

هو التعليل السليم نصفه اليوم بالعدوى الجرثومية . وذكره أن أسباب الأمراض الجسمية هي النجاسة يعني أنه قد تصور أن الأمراض تسبب العدوى . أما قوله بأن الأرواح الشريرة تسبب المرض وتلحق ضرراً في الجسم فأغلب الظن أنه قصد ما يعنيه الطبيب العصري بالأمراض النفسية والعقلية . لقد ميز الطبيب الآشوري إلى حد ما أن الحشرات تنقل الأمراض ، كما قدر أن يتوصل إلى أن الجذام معد فعزلوا المجذومين منذ (3500 ق.م) ، كما عرف مرض السيلان . كما و صنف الطبيب الآشوري الأمراض حسب مناطق الجسم [1] .

ويقول الدكتور عبد اللطيف البدري ((وردت في المعاجم الأكدية كلمة وباء (**Waba**) والموتان (**Muatan**) وكلاهما يعني الطاعون ، كان من الأوبئة الخطرة التي وردت في الرقم أنباء إجتياحها . ففي عهد (الملك شلمنصر الرابع والملك نزاري والملك أسرحدون الثاني) حدثت أوبئة للطاعون أدت إلى شلل الزراعة وإضعاف الحكم ، وفي سنة 701 ق.م. حاصر الملك سنحاريب الملك حزقيا وطلب منه التسليم ، وقبل بدء المعارك مات في ليلة واحدة (حسب رواية العهد القديم) خمس وثمانون ألف مقاتل مما أرغم سنحاريب على العودة إلى نينوى))[2].

مفهوم العدوى والأمراض في الطب المصري القديم :

يقول البعض بأن الطب بدأ بمصر الفرعونية في وقت قريب من طب وادي الرافدين ويُعتقد بأن المصريين كانوا أول من مارس الطب على أسس سليمة (4000 ق.م).

و الأمراض المعدية التي جاء ذكرها عند المصرين القدماء هي : الملاريا ، الحمرة ، التسمم الدموي ، الديسنتاريا ، الطاعون الدملي ، درن الغدد اللمفاوية ، شلل الأطفال ، الجدري .

الطب الهندي : لقد عرف الهنود كثيراً من الأمراض ، منها حمى الملاريا وعلاقتها بالبعوض والطاعون وعلاقته بالجرذان [3].

---

[1]– البدري ، الدكتور عبد اللطيف : من الطب الآشوري – مطبعة المجمع العلمي العراقي 1976، المقدمة.

[2]– البدري ، الدكتور عبد اللطيف : الطب في العراق القديم _ منشورات المجمع العلمي العراقي _2000ص 175 .

[3]– Carrison Intrd.Hist.Medc. p . 71

مفهوم العدوى والأمراض في الطب اليوناني :

يقول محمد بن أحمد " التميمي " [1] قد فصل الفاضل أبقراط في كتاب الفصول بين الأمراض العامية الحادثة من فساد الهواء وغيرها من الأمراض المختلفة التي تعرض لأهل المدن في سائر فصول السنة ، فقال ((إن انقلاب أوقات السنة مما يعمل في توليد الأمراض خاصة . . .متى كان في أي وقت من أوقات السنة في يوم واحد مرة حر ومرة برد ، فتوقع حدوث أمراض خريفية . .)) وقال أيضاً ((إذا احتبس المطر حدثت حميات حادة ، فإن كثر ذلك الاحتباس في السنة حدث في الهواء حال يبس ، فينبغي أن يتوقع في أكثر الحالات هذه الأمراض))

وقال ((إنه في فصل الخريف تكون الأمراض أحد ما تكون في أكثر الأمر وأقتل ، فأما الربيع فإنها أصح الأوقات وأسلمها مرضاً وأقلها موتاً))

ولكنه مع ذلك لا يعطينا تفسيراً واضحاً لكيفية نشوء المرض عند تقلبات الجو.

و في الباب الثالث من كتابه البقاء يقول التميمي عن العدوى المرضية التي تنتقل عن طريق الهواء [2] ((وجدت الحكيم أرسطاطاليس قد حذر من مجاورة المرضى الذين يمرضون في الأوبئة الكائنة من أجل فساد الهواء ، وذلك أن تلك الأمراض معدية للأصحاء الذين يقربون من المرضى ، لأجل تنسمهم الجو الذي يأويه المرضى ويتنفسون فيه .))

وقد أعطى معاصر أبقراط الفيلسوف ثوسيديدس[3] أفضل وصف منهجي علمي طبي واقعي وتاريخي عن مرض الطاعون الذي حدث بين عامي 430 – 425 ق.م. أثناء الحرب بين مدينتي اسبارطه واثنا ،إلا أن ((قابلية الانتقال هذه لم تكن لها صورة واضحة في الذهن ، ولم توضع في صيغة معينة تصلح أن تكون قاعدة عامة . فثوسيديدس في وصفه للطاعون الذي إجتاح أثنا عام 430 ق.م. ، يتكلم عن العدوى كأمر طبيعي إذ يقول ان الواحد يعدي الآخر عندما يقوم بتمريضه . وتظهر معرفة ثوسيديدس عن المناعة بقوله " إنها تظهر عند من بقي على قيد الحياة بعد شفائه من مرض الطاعون " وحين يقول " أن المرض لا يصيب الشخص نفسه مرتين وعلى الأقل لا تكون الإصابة الثانية قاتلة)) . . ((لقد هرب جالينوس من روما

---

[1] – التميمي ، محمد بن أحمد المقدسي (من أبناء القرن الرابع الهجري العشر الميلادي) : كتاب مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء ، تحقيق يحيى شعار ، إصدار معهد المخطوطات العربية – القاهرة ، 1999 ، ص 91 – 93.

[2] – التميمي (نفس المصدر) ص 137 .

[3] – أولمان ، مانفرد : الطب الإسلامي،ترجمة د. يوسف الكيلاني ، وزارة الصحة الكويتية1981 ، ص147

عندما وصلها الطاعون سنة 166م . وتكلم أيضاً عن خطر مخالطة المصابين بالطاعون ، حيث يكمن خطر الإصابة بالعدوى كما هو الأمر في حالات جرب الغنم والحثر (التراخوما) أو السل وجميع الأمراض التي تسبب نفساً رديئاً))

ويقول الدكتور السامرائي [1] ((ورد في التراثيات الأبقراطية وصف لحمى الملاريا ، وفي رواية أن أمبادوقليس (405-443 ق.م.)عالج مشكلة هذا المرض بردم المستنقعات . ولم يرد في كتب أبقراط ذكر لمرض الجدري والحصبة والحمى القرمزية والسفلس . . ويتساءل الباحثون فيما إذا كانت هذه الأمراض لم تستوطن بلاد اليونان في ذلك الزمان ، أم أن أبقراط ومن كتب في عصره أهملوا ذكرها.))

كما أن ((من روائع المؤلفات البقراطية – كتاب الأهوية والأمواه والأماكن _ عالج فيه المؤلف علاقة المريض والمرض بالبيئة وما فيها من أنواع الأهوية والمياه ومواقع السكن على الأرض ، وعلاقة هذه العوامل على صحة الفرد))

مفهوم العدوى والأمراض في الطب عند العرب قبل الإسلام :

((إن الطب عند العرب كان بسيطاً وبدائياً يستند أكثره على المتعارف عليه في استعمال التعاويذ والتمائم وتناول المواد الخام القريبة من الأيدي كالأعشاب الصحراوية وأبوال الإبل)) [2].

((وتوصل الأعراب إلى المعلومات الطبية بالمشاهدة والتجربة ، فعرفوا بعض الأمراض بالمقارنة على مواشيهم أو صحاريهم من تغيرات مألوفة . فأطلقوا على الحالة التي سموها (الجدري) هذا الإسم لأن بثور هذا المرض تشبه ما تطرأ من السلع على أعناق الإبل . . . وعرفوا (الحصبة وأخذوا إسمها من الأرض الحصباء أي ذات الحصى الناتئة على أديمها . . . ولأن الإصابة بوباء (الطاعون) كالطعنة القاتلة لذا سموه بهذا الإسم . . . كما عرفوا (الهيضة) وسموها(الفضجة) . . . ووصفوا مرض السل في الصدر وسموه (سلال) وداء اليأس . . . وسموا المرض الذي يسبب قطع الأصابع وقطع النسل (جذاماً) مشتقاً من الجذم أي القطع كما سموه (داء الأسد) لأنه يفترس أطراف الجسم ، وعرفوا أن هذا الداء مهلك ويعدي

---

[1] – السامرائي ، الدكتور كمال : مختصر تاريخ الطب ، دائرة الشؤون الثقافية 1984 ، ج 1، ص 121 ، 114.

[2] – جواد علي – العرب قبل الإسلام 389/8 .

بالتماس . . . وعرف الأعرابي أن بعض الأمراض معدية بطبيعتها ، كالجذام والجرب وعالج هذا الأمر بعزل المصابين بهذين الدائين من الإنسان والإبل)) [1]

((وفي الجزيرة العربية قديماً كان يفترض بالمثل أن انتقال الأمراض أمر طبيعي متوقع . فقد أصيب الحارث بن حلزة اليشكري بالوضح (الجذام) ، وعندما جاء الوقت لإنشاد معلقته أمام عمرو بن هند ملك الحيرة ، أمر عمرو بوضع حاجز بينهما . ويشكو النابغة الذبياني من هذا بقوله " وهناك قضيت الليل كما لو انني كنت شخصاً منبوذاً محكوماً عليه وقد نبذه الناس بعيداً ، أو كما لو كنت مصاباً إصابة شديدة بمرض الطاعون ".)) [2]

[1] – إختصرنا ذلك عن ، السامرائي – المصدر السبق .

[2] – أولمان : الطب الإسلامي (مصدر سابق) ص 147 .

شبكة
الألوكة

الفصل الثاني
مفهوم العدوى والأمراض المعدية والوباء في الإسلام

مسألة العدوى والأحاديث التي وردت فيها ، كانت وما زالت موضع جدل لدى البعض ، وموضع شك أحياناً لدى قلة من الناس ، لما يبان لأول وهلة من تعارض في ظاهر قسم من تلك الأحاديث . علماً بأن كل تلك الأحاديث صحيحة وليس فيها أي تعارض ، فأحاديث المصطفى ﷺ التي صحت عنه يصدق بعضها بعضاً فهو **((لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى))** ، وأحاديثه ﷺ هي الحق الذي لا مرية فيه ، وتتوالى الأحقاب والأزمنة فلا تزداد على الأيام إلاّ نصاعة ووضوحاً وجلاءً . وهاهي الاكتشافات العلمية توضح ما إنبهم على بعض الأفهام وأشكل على بعض المدارك.

في هذا الفصل سنحاول إظهار بعض الأسرار التي تجلت على ضوء المعلومات الطبية الحديثة والمتعلقة بمسألة العدوى :

أولاً – مفهوم العدوى في الطب النبوي :

للأمراض المعدية طرقاً مختلفة تنتقل بواسطتها مسبباتها من المكروبات والفيروسات على سبيل المثال لا الحصر . انتقال أمراض الجهاز التنفسي (التهاب الرئة ، السل ، الخناق ، السعال الديكي ، الأنفلونزا ، الحصبة ... الخ) يكون عن طريق التنفس فيما يلفظه المريض من رذاذ أثناء السعال والكلام والتنفس . أما انتقال أمراض الجهاز الهضمي (كالتيفوئيد ، والديزنتاريا = الزحار الأميبي والباسلي ، الكوليرا ، شلل الأطفال ، الديدان ... الخ) فيكون عن طريق المواد الغذائية والمشروبات الملوثة .

وعن طريق الجروح تحدث الإصابة بالكزاز ، والغانغرينا الغازية . وبالملامسة المباشرة وعن طريق الجلد أو الأغشية المخاطية تنتقل الأمراض التناسلية ، والجدري والجذام . والتهاب الكبد الفايروسي ينتقل بواسطة الحقن أو نقل الدم .

وأخيراً وليس آخراً بواسطة الحيوانات – وخز الحشرات – كالبعوضة التي تنقل الملاريا وداء الفيل ، والحمى الصفراء أو الذبابة من نوع (كلوسينا) التي تنقل مرض النوم أو الحشرة

التي تنقل الكلازار (الحمى السوداء) وحبة بغداد أو القمل الذي ينقل مرض التيفوس أو البرغوث الذي ينقل مرض الطاعون .

والأمراض المعدية كما أن لها طرقاً عديدة لانتقال العدوى من مريض إلى آخر ولها أسباب عديدة ، لها أيضاً درجات في شدة العدوى ودرجات في المناعة والمقاومة لدى المصابين بها .

إن ما ذكرناه سابقاً لا يشكل قاعدة ثابتة أساسية بالنسبة لمسألة العدوى وانتقال الأمراض لأن المكروبات والفيروسات أو الطفيليات لا تشكل السبب الوحيد للمرض والعدوى وإنما هناك أسباب يجهلها بنو البشر تتحكم في طبيعة هذه المخلوقات المتناهية في الصغر هذه الأسباب المجهولة هي التي تغير الطبيعة العدوانية لمكروب ما إلى طبيعة مسالمة أو تحول الطبيعة المسالمة لذلك المكروب إلى معتد أثيم على سبيل المثال فيروس شلل الأطفال ... فهو يدخل إلى الطفل بواسطة الأطعمة الملوثة فيذهب إلى الأمعاء وهناك تتلقفه الغدد اللمفاوية فتهجم عليه وتتعرف عليه معرفة دقيقة وتسجل ذلك في مجموعة من خلايا الغدد اللمفاوية ولا يبدو على الطفل أي مرض ... بل تتكون لديه مناعة وهي هذه المعلومات المختزنة في خلايا الغدد اللمفاوية والمواد التي تستطيع صد هذه الفيروسات إذا أعادت الهجوم ثانية في مستقبل الأيام . وتصيب هذه الفيروسات طفلاً آخر فتسبب له مرض الشلل ، والفيروسات واحدة وبال على هذا ونعمة على ذلك .

وهناك أسباب أخرى ليست بيد الإنسان ولا يعلمها تتحكم في المقاومة الموجودة لديه فتجعلها قوية عارمة تكتسح كل عدوان أو تجعلها ضعيفة تنهزم في كل ميدان على سبيل المثال أيضاً ، مكروب الحمى الشوكية المعروف أنه شديد العدوان فيدخل الأنف والبلعوم ويمكث قليلاً ليتكاثر ثم يغزو الدم والسحايا (الأغشية) المحيطة بالنخاع الشوكي والمخ فيهجم هجومه الشديد الذي يؤدي إلى الوفاة في أكثر الأحيان .

ولكن هذا المكروب ذا الطبيعة العدوانية يتغير فجأة عند بعض الأشخاص ... فيبقى هادئاً ومسالماً ... ولكنه حين ينتقل من شخص إلى آخر يعود إلى سابق عهده من العتو والعدوان ، بل قد يبقى في فم ذلك الشخص أمداً طويلاً دون أن يحرك ساكناً ولكنه فجأة ينقلب من السلام والوئام إلى الهجوم والعدوان . وليست هناك قاعدة معروفة للإنسان يستطيع بها أن يتنبأ بطبيعة هذا المكروب المخاتل وأنه سيتحول فجأة من السلام إلى الهجوم أو سيتحول من الهجوم إلى المسالمة فليس الأمر بأيدينا وليس الأمر كذلك بيد تلك المكروبات

فهي لا تعلم كما لا نعلم من أمرها شيئاً ... ولكن الأمر لمن بيده الأمر كله يصرفها كيف يشاء جلّت عظمته .

وليست مكروبات الحمى الشوكية هي الوحيدة بين المكروبات لها هذه الطبيعة المزدوجة التي تكون وبالاً ودماراً على شخص وتكون سلاماً ووئاماً على شخص آخر . ولكن المكروبات جميعها تحمل هذه الصفة كالتيفوئيد والجذام والتهاب الكبد الفيروسي وأنواع أخرى لا يتسع المجال لسردها جميعاً.

إن العلم وحده لا يستطيع أن يعطي تفسيرات كاملة لما سبق فقد يتبادر إلى الذهن أن هناك اختلافاً في المكروب ذاته ولكن الفحص الدقيق يثبت أن المكروب واحد وأنه إذا انتقل إلى شخص آخر فإنه قد يفتك به .

فما هو السر في هذه الخاصية العجيبة الموجودة لدى بعض الأشخاص فيحملون المكروب دون أن تتأثر به أجسامهم فإذا انتقل المكروب ذاته إلى شخص آخر فعل به الأفاعيل.

ربما يرجع ذلك إلى اختلاف المقدرة على المقاومة ضد المكروب لدى الأشخاص ... ولكن المقدرة على المقاومة مبنية على أسباب مجهولة وليست مبنية على ما يبدو لنا من قوة هذا الشخص وضعف ذلك فقد تصرع شخصاً قوياً شديداً في أتم صحته وتبقى كامنة هادئة مسالمة موادعة لفترة ما ثم تغير طبيعتها فتهجم وتكون عليه وبالاً . كل ذلك يؤكد بشكل جلي بأن هناك من المجاهيل ما لا يعلمه إلاّ الله . هذه الحقائق العلمية توضح لنا بجلاء معنى الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في العدوى وتزيل عنها ما قد يبدو لأول وهلة من تعارض بل وتبدو الأحاديث النبوية على حقيقتها القدسية تتحدث عن الحقيقة في أبعادها السحيقة بلفظ قريب إلى الأذهان والعقول ، وهي متصلة بالأزل .

وأهم الأحاديث الشريفة الواردة في هذا الباب قول الرسول ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه :

((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر[21] وفرّ من المجذوم فرارك من الأسد)) أخرجه البخاري.وهناك أحاديث أخرى قد يبدو وكأنها تناقض الأحاديث السابقة .

---

[1] – **طيرة** = تشاؤم . **هامة (بالتخفيف)** = دابة تخرج من رأس القتيل أو تولد من دمه ، فلا تزال تصيح حتى يؤخذ بثأره ، كذا زعم العرب فكذبهم الشرع . **صفر** = هو تأخير المحرم إلى صفر وهو النسيء (الألباني ، ناصر الدين : حاشية مختصر صحيح مسلم ج 2 ، ص 151) .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ((لا عدوى ولا صفر ولا هامة)) فقال أعرابي ، يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الضباء فيجيء البعير الأجرب يدخل فيها فيجرب بها كلها ، قال رسول الله ﷺ : ((**فمن أعدى الأول**)) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .وثبت عن جابر أن النبي ﷺ أكل مع المجذوم في قصعة واحدة وقال له:((**كل ثقة بالله وتوكل عليه**)) أخرجه البخاري .

يقول الدكتور محمد علي البار في شرحه لهذه الأحاديث ففي هذه الأحاديث الشريفة يبين الرسول ﷺ للعرب والناس كافة ... أن العدوى وحدها أو المكروب وحده ليس هو السبب في حصول المرض وأن هناك أسباباً أخرى بيد الله سبحانه وتعالى إن شاء صرفها وإن شاء جمعها فكان المرض ... وكانت العدوى ...

أما الاعتقاد بأن هذا المكروب هو سبب المرض الوحيد وأن العدوى هي سبب المرض الوحيد فهو أولاً جهل بحقائق الأشياء . وثانياً جهل بقدرة الخالق عزّ وجلّ وثالثاً تعظيم للأسباب الظاهرة فيتكل عليها وبذلك يخرج من دائرة التوحيد إلى دائرة الشرك بالله تعالى . ولابد إذا من الالتفات إلى السبب الأول كما قال ﷺ لذلك الأعرابي فمن أعدى الأول وبذلك ترد الأمور كلها إلى الله الواحد المتصرف في كونه وعباده كيفما شاء وكما يشاء ... بالصحة والمرض والعدوى والمقاومة.

وبجانب ما سبق أمره ﷺ أيضاً بالبعد عمن عرف أنه مصاب بمرض سار فأوصى المريض بداء سار أن لا يختلط بالأصحاء قدر الإمكان إذا علم أن في اختلاطه بهم احتمالاً للعدوى . وبذلك حدد الموقف من الأمراض المعدية ليسهل على المسلمين في عصورهم المختلفة أن يتلقوا الوصايا الصحية للوقاية من الأمراض السارية بقبول حسن [1] .

وجاء في شرح حديث ((**لا عدوى ولا طيرة ولا صفر**)) في فتح الباري :

أن المراد بنفي العدوى أن شيئاً لا يعدي بطبعه ، نفياً لما كانت الجاهلية تعتقده بأن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة الله تعالى ، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ، ليبين أن الله هو يمرض ويشفي ، ونهاهم عن الدنو منه ، ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها .ففي نهيه ﷺ إثبات الأسباب ، وفي

---

[1] -- إن ما ذكرناه سابقاً عن فكرة كون المكروبات ليست لوحدها المسببة للمرض والعدوى مختصرة عن كتاب ((العدوى بين الطب وحديث المصطفى)) للدكتور محمد علي البار ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، جدة ، ص 37 – 38 .

فعله إشارة إلى أنها لا تستقل ، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً ، وإن شاء أبقاها أثرت .

لذلك كله ((فنحن لا ننفي الأسباب ، فالأسباب موجودة ، بقدر الله وقدرته ، ونحن مطالبون بمعرفة الأسباب واتخاذها وذلك لا ينفي التوحيد . ولكن الذي ينافيه الاعتقاد بأن الأسباب هي الفاعلة بذاتها . والمكروبات ليست بذاتها سبباً للمرض والعدوى بل هي جزء سبب، تعارضه أسباب أخرى ، وليست بذاتها سبباً تاماً كاملاً)) [1].

ثانياً – مفهوم العزل في الطب النبوي :

وبجانب الأحاديث التي ذكرناها في الفقرة السابقة نجد للرسول ﷺ جملة أحاديث تشير بصراحة ويقين إلى ضرورة الوقاية من الأمراض وعدم الاختلاط بالمصابين بالأمراض المعدية فمن إرشاداته ﷺ عند إصابة أحد بمرض معد هو عزله عن الأصحاء وعدم اختلاطه بهم لكي لا تنتشر العدوى لغيره ويبتلي الآخرون بمرضه وأن يراعي الله في ذلك حتى يشفيه ، يقول ﷺ : **((لا يورد ممرض على مصح))** أخرجه البخاري ومسلم . وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : **((لا توردوا الممرض على المصح))** جواهر البخاري – شرح القسطلاني . أي لا يدخل المريض على الأصحاء لكي لا ينتقل المرض إليهم .

ولا يكتفي ﷺ بمنع المريض من الاختلاط بالأصحاء وإنما يأمر الأصحاء أيضاً بعدم الاختلاط بالمريض المصاب بمرض معد حتى يصبح غير ناقل للمرض إليهم فيقول ﷺ : **((إن من القرف التلف))** أخرجه داؤد . والقرف هو مقارفة المريض أي ملامسته والاحتكاك به والتلف هو الهلاك أي ... العدوى [2]. ومما يروى عنه ﷺ أنه جاء إليه وفد من البادية لكي يبايعونه وبينهم رجل مصاب بالجذام فرفض الرسول ﷺ أن يدخل المجذوم في مجلسه أو يبايعه باليد وأرسل إليه من يقول له **((أبلغوه أنّا قد بايعناه فليرجع))** ومن أقواله ﷺ **((كلّم المجذوم وبينك وبينه قدررمح أو رمحين))**

---

[1] – البار ، د . محمد علي : بحث الإعجاز الطبي في الأحاديث الواردة في العدوى – فصل في كتاب أبحاث في العدوى والطب الوقائي ، إصدار رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة 1987 ، ص 44 .

[2] – الفنجري ، أحمد شوقي : الطب الوقائي في الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985 ، ص 36.

إن تحديد المسافة بين الصحيح والمريض إلى أكثر من الرمح خشية العدوى هي نفس المسافة التي نشترطها اليوم بين أسرّة المرضى في المستشفيات .وقد روى أبو نعيم في كتابه ((الطب النبوي)) ((أن النبي ﷺ كان إذا رمدت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ)) [1].

ثالثاً – مفهوم الحجر الصحي في الطب النبوي :

لقد وضع الرسول ﷺ أساس الحجر الصحي وذلك بنهيه أهل مكان وقع فيه مرض وبائي من الخروج ومنع من هم خارجه من الدخول إليه .

فقال ﷺ : **((إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع و أنتم فيها فلا تخرجوا منها))** أخرجه البخاري ومسلم . وأخرج الإمام أحمد عن عائشة ﷺ قال : **((يا رسول الله فما الطاعون ؟ قال غدة كغدة الإبل ، المقيم فيها كالشهيد ، والفار منها كالفار من الزحف))**

وعندما خرج عمر ﷺ إلى الشام وكان بسرع (قرية في طرف الشام أخبر بأن الطاعون قد انتشر فيها ، توقف عمر ولم يدخل إلى المدينة الموبوءة وبعد أن استشار المهاجرين والأنصار من المتواجدين هناك نادى في الناس ، ((إني مصبح على ظهر فاصبحوا)) أي إني مسافر غداً فاستعدوا للسفر . فقال أبو عبيدة بن الجراح ﷺ أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله . ثم جاء عبد الرحمن بن عوف ﷺ وكان متغيباً في بعض حاجته فقال إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول : **((إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض و أنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه))** .

ومفهوم الحجر الصحي مفهوم حديث لم تعرفه البشرية إلاّ في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، ومنع السليم من الدخول إلى أرض موبوءة حفاظاً عليه من الإصابة أمر منطقي ، إلاّ أن منع الأشخاص السليمين من منطقة الوباء من الخروج والفرار من المرض أمر صعب الفهم بدون معرفة دقيقة بالطب ، حيث أن العقل والمنطق يشير إلى ضرورة الفرار من الوباء للخلاص من العدوى ولكن الطب الحديث يؤكد على أن الشخص السليم والموجود في منطقة الوباء يكون حاملاً للمكروب دون أن تظهر عليه علامات المرض أو يكون المكروب لديه لازال في

[1] – الجميلي ، الدكتور السيد : إعجاز الطب النبوي – دار أسامة دمشق ، ص 51 .

دور الحضانة وبذلك يمكن أن يكون سبباً لنقل المرض إلى غيره من الأصحاء ولذا جاء منع الرسول ﷺ أهل البلدة المصابة بالوباء من أن ينتقلوا منها تشريعاً رائعاً ... ومعجزة علمية ظهرت حقيقتها اليوم بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان وكما جاء المنع شديداً والوعيد مرعباً مخيفاً في قوله ﷺ:((**والفار من الطاعون كالفار من الزحف ...))** جاء الترغيب حاثاً أشد الحث على الإقامة والصبر في قوله ﷺ : ((**والمقيم فيه كالشهيد)) ((والصابر فيه كالصابر في الزحف))** ، ((**والمطعون شهيد))** [1] .

وأخيراً وليس آخراً نقول أن هذه التعاليم التي جاءت في أحاديث المصطفى ﷺ حول الحجر الصحي لا تختلف عن أحدث التعاليم العلمية في وقتنا الحاضر والمتتبع لقواعد دوائر الصحة الوقائية في أي بلد في حالة انتشار وباء معدي (كالكوليرا والجدري مثلاً) يضرب حول ذلك البلد نطاق عازل محكم ويمنع الناس من الدخول إليها مهما كانت الأسباب عدا رجال الصحة وفي نفس الوقت يمنع خروج أي شخص أو غذاء وحتى سيارة خارج ذلك البلد .

رابعاً : المفهوم العام للوباء والطاعون عند الفقهاء :

لقد أصاب الفقهاء الأجلاء في التمييز بين كلمتي الوباء والطاعون [2]. قال الإمام النووي في شرح مسلم :

((وأما الوباء، فقال الخليل وغيره : هو الطاعون . وقال : كل مرض عام . والصحيح الذي قاله المحققون: أنه مرض الكثير من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات ، ويكون مخالفاً للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها . . ويكون مرضهم نوعاً واحداً بخلاف سائر الأوقات ، فإن أمراضهم مختلفة . قالوا : وكل طاعون وباء ، وليس كل وباء طاعوناً . . والوباء الذي وقع في الشام في زمن عمر ابن الخطاب كان طاعوناً ، وهو طاعون عمواس ، وهي قرية معروفة بالشام)) وجاء نفس التفريق عند أغلب الفقهاء مثل ابن القيم ، ابن حجر العسقلاني، الغزالي .

والغريب أن ابن سينا لم يصل إلى مستوى فقهائنا حيث نجده يقول في القانون ((والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد الوبئية ، ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس)) .

---

[1] – البار : العدوى بين الطب وحديث المصطفى ، ص 74 .

[2] – السيوطي ، الإمام جلال الدين : ما رواه الواعون في أخبار الطاعون ، تحقيق ودراسة الدكتور محمد علي البار، دار القلم – دمشق ، 1997 ، ص 7 .

وهذا كلام غير دقيق وغير صحيح .

خامساً – المصنفات والرسائل في الطاعون والوباء عند العرب والمسلمين [1] :

إن ما كتب عن الطاعون ضمن الكتب فكثير لايمكن حصره ، وقد حوت كتب الحديث المختلفة وشروحها وكتب الطب النبوي على فصل أو باب في الطاعون . كذلك حوت كتب التاريخ وكتب الأدب الكثير الكثير عن أخبار الطاعون .

كما أن كتب الطب كلها قد حوت فصولاً عن الوباء ، وأغلبها لم يذكر الطاعون في الوباء ، وإنما ذكره في الأورام والبثور ، لأن الطاعون الغددي يظهر كغدة في المراق والإبط وفي العنق خلف الأذن ، كما يظهر مثل البثرة في اليد أو الساق أو القدم .

نذسكر فيما يلي الكتب والرسائل المستقلة التي ألفوها في الطاعون ضمن مجموعتين

المجموعة الأولى - المرتبة قدرالإمكان حسب وفاة مصنفيها :

1 – كتاب الطواعين : الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا (ت 281هـ/ 894م.

2- رسالة نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر : أحمد بن إبراهيم ابن الجزار القيرواني الطبيب التونسي المتوفى سنة 395 هـ/ 1004 م.

3 – رسالة الوباء : أبو عيسى الجرجاني (ت 401 هـ/ 1010 م)

4 – رسالة تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد : أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري (ت 771هـ/ 1369م) .

5- مصنف في الطاعون : تاج الدين السبكي (ت 771هـ/1369م) .

6- كتاب حل الحباء لارتفاع الوباء : ولي الدين محمد بن أحمد الديباجي الملوي (ت774هـ/ 1372 م) .

7 – الطب المسنون في دفع الطاعون : شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة التلمساني (ت 776هـ/ 1374م) .

8- شفاء الآلام في طب الإسلام : أبو المظفر يوسف بن محمد بم مسعود العبادي العقيلي السَرَمَرّي (ت 776هـ / 1374م) .

---

[1] – إعتمدنا في إعداد هذه القائمة على ما جاء في دراسة الدكتور محمد علي البار المصدر نفسه ، ص 81 – 98 . وكذلك ما ذكره الدكتور عادل البكري في بحثه حمدان بن عثمان وكتابه ((إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس من الوباء)) المقدم في الحلقة الدراسية ((الطب والصيدلة في المغرب)) – مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد 1990/5/16 .

9- رسالة في طاعون 749هـ/1347م سماها تحقيق النبأ عن أمر الوباء : أبو عبد الله محمد بن علي اللحمي الشقوي الأندلسي .

10 – المقامة الوردية (وهي مقامة أدبية مطولة عن الطاعون العام في سنة 749هـ) :الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي .

11- رسالة في طاعون سنة 749هـ : صلاح الدين بن أيبك الصفدي ، وهي رد على رسالة السبكي .

12- مقنعة السائل عن المرض الهائل وهو طاعون 749 هـ: لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني المعروف بابن الخطيب ستة776هـ/ 1374 م .

13 – ما رواه الواعون في أخبار الطاعون : شمس الدين محمد بن محمد بن محمود المنبجي (ت785هـ / 1383م) . وهو مصنف في الطاعون الواقع سنة 764 .

14- جزء في الطاعون : بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي ت 794هـ/1391م .

15- كتاب بذل الماعون في فضل الطاعون : أحمد بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ /1448 م) .

وقد إختصر كتاب الإمام ابن حجر العسقلاني مجموعة من العلماء وأضافوا إليه ما حدث في الطواعين بعد زمان ابن حجر ، وبعض تعليقاتهم ، نذكر منهم ، الإمام زكريا الأنصاري وسماه تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين ، والأمام المنياوي (ت سنة 781هـ/1379م) ، والسيوطي (ت911هـ / 1505 م) سماه ما رواه الواعون في أخبار الطاعون .

16- تسلية الواجم في الطاعون الهاجم : الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن دؤد الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت 856هـ/1452م) .

17- وصف الدواء في كشف آفات الوباء : عبد الرحمن محمد بن علي بن أحمد الأنطاكي الحنفي (ت858هـ/ 1402 م) .

18- مختصر بذل الماعون (وهو مختصر لكتاب شيخه ابن حجر) : شرف الدين يحيى بن محمد الحدادي المنياوي المصري الشافعي (ت 871هـ / 1466م) .

19- الطب في تدبير المسافرين ومرضى الطاعون : عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن التونسي (ت 899هـ / 1493 م) .

20- فنون المنون في الوباء والطاعون : إبن المبرد جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي الحنبلي (ت 909هـ / 1503م .

21- كتاب الطواعين : لنفس المؤلف ابن المبرد السابق ذكره .

22- مارواه الواعون في أخبار الطاعون : الأمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ / 1505م) .

23- رسالة الوباء وجواز الفرار منه : مصلح الدين مصطفى بن أوحد الدين اليار حصاري القاضي الحنفي (ت 911هـ / 1505م) .

24- تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين : شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري (ت 926هـ / 1519م) .

25- رسالة الإباء عن مواقع الوباء : إدريس بن حسام الدين علي البدليسي (ت سنة 930 وقيل 970 هـ / 1523 أو 1562 م .

26 – وذكرها في كشف الضنون ثانية بعنوان رسالة في الطاعون وجواز الفرار منه ، والظاهر أنها نفس رسالة الإباء عن مواقع الوباء .

27 – رسالة راحة الأرواح في دفع عاهة الأشباح : شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي (ت 940هـ / 1533م) .

28- تحفة النجباء بأحكام الطاعون والوباء : شمس الدين محمد بن علي بن محمدبن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي (ت 953هـ/1546م) .

29- البشارة الهينة بأن الطاعون لا يخل البلد الأمين : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الحسيني الطرابلسي المالكي (954هـ / 1547م) .

30- عمدة الراوين في أحكام الطواعين : لنفس المؤلف السابق .

31 – رسالة الشفاء في أدوية الوباء : عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي الحنفي المعروف بطاشكبري زاده (ت 968هـ1560م) .

32- رسالة في بيان الطاعون : نفس المؤلف السابق .

33- رسالة في الطاعون ووصفه : الشيخ زين الدين بن ابراهيم بن محمد المصري الحنفي المشهور بابن نجيم (ت 970هـ/ 1562م) .

34- الطعن والطاعون : نفس المؤلف السابق .

35- ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون : الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي الحنبلي (1033هـ/1623) .

36 – خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون : وتوجد منه نسخة باسم رسالة في أحوال الطاعون : محمد بن فتح الله بن محمود الحلبي البيلوني الأنصاري (ت 1042هـ/1632م) .

37- الجوهر المكنون في الكلام عن الطاعون : احمد الحموي (ت 1068هـ /1657م .

38- السر المنون في الكلام عن الطاعون : الشريف أحمد بن محمد الحسيني الحنفي (سنة1097 هـ/ 1685م) .

39- مسك الشجون في الفرار من الطاعون : نعمة الله بن عبد الله الجزائري البصري الشيعي نزيل أصبهان (ت 1112هـ/1700م) .

40 – منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين : زين الدين محمد بن عبد الرؤف بن تاج العارفين الحدادي المناوي القاهري الشافعي (ت 1131هـ/ 1718م) .

41- هز السمهري فيمن نفى العيب عن الجدري : عبد الوهاب بن أحمد أدراق (ت 1159هـ / 1647م) .

42 – سر الساعون في دفع الطاعون : مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الدمشقي الحنفي الخلوتي (ت 1162هـ / 1742) .

43- رسالة في الطاعون : صبغة الله الحيدري (.1187هـ / 1773م)

44- الماعون في مسألة الطاعون : عثمان بن موسى الأسكيشهري ، عاش في القرن الثاني عشر الهجري .

45- جهاز المعجون في الخلاص من الطاعون : سعد الدين سليمان بن عبد الرحمن أمن الله محمد الرومي الحنفي المشهور بمستقيم زاده (.1202هـ / 1787م) .

46- مجنة الطاعون والوباء : كورك زاده حافظ حسين أفندي (ت 1216هـ / 1801م) .

47- رسالة في الطاعون : السيد عقيل بن عمر السقاف العلوي الكي الشافعي (ت 1240هـ/1824م)

48- حسن النبأ في جواز التحفظ من الوباء : محمد بن محمد الأول بن حسين التونسي الشهير بابن بيرم (ت 1246هـ، وقيل 1247/ 1830 أو1831)

49- تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين :احمد بن رشيد بن محمد صدقي الرومي (ت 1250هـ/1834م) . وهو نفس عنوان كتاب الشيخ زكريا الأنصاري .

50- رسالة تبحث في طاعون عام 1247: علي بن عبد الله الأصفهاني (غير معروف سنة وفاته – عاش في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي) .

51 – إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الإحتراز عن الوباء : حمدان بن عثمان خواجه الجزائري الحنفي (ت 1261هـ/ 1845 م) .

52 – رسالة في الطاعون : كلوت بك رئيس أطباء الجيش المصري ومؤسس مدرسة الطب في القصر العيني ، طبعت هذه الرسالة بمصر سنة 1250هـ/1834م .

53 – رسالة في الهواء الأصفر : إبراهيم النجار (ت 1281هـ / 1864م .

54- تحفة السامع والقري في داء الطاعون البقري الساري : حسن محمد باشا ، طبع الكتاب بمصر سنة 1300هـ / 1883م .

55- رسالة الهيضة : محمد بن أحمد السكندراني (ت 1306هـ / 1888م) ، وقد طبعت بمصر سنة 1292هـ/1875 م .

56- رسالة وباء الهيضة : حسن محمود الطبيب (ت 1323هـ / 1905م) .

57- كتاب جواب الوزير في حرمة امتناع الحاج من دخول مكة عند الوباء الكبير : عبد الحميد بن نعمر نعيمي بن احمد الخربوتي الرومي الحنفي المدرس (ت 1320هـ/ 1902م) .

المجموعة الثانية : الرسائل التي لم يعرف سنة تأليفها ولا سنة وفاة كاتبها:

1 – الفوائد الخبرية في أحكام الطاعون : الطبري .

2- طلسم العون في الدواء والصون عن الطاعون .

3- رسالة الوباء وجواز الفرار منه : مصلح الدين .

4 – رسالة دفع الطاعون : المؤلف مجهول .

5- الرسالة الجمالية في تدبير الحميات الوبائية : إبراهيم النشوالجمال .

6- رسالة وصف الدواء في كشف الوباء : عبد الرحمن بن محمد البسطامي.

7- رسالة الهواء الأصفر : عزريا كثير (رئيس أطباء السلطان عبد المجيد خان) .

8- الهواء الأصفر: شبلي شميل . طبع في مصر سنة 1306هـ/1889م.

9- الأبخرة المصلحة للجو في الوباء : يعقوب بن ساحاق الكندي .

10- رسالة في الطاعون : مصطفى الدهنة الأزهري .

11- رسالة فيما ينفع من الوباء والطاعون : المؤلف مجهول .

12 مجنة الطاعون والوباء : إلياس اليهودي بن إبراهيم الإسباني .

13- السر المصون في أخبار الطاعون : عبد الله المقدسي .

شبكة
الألوكة

الفصل الثالث
مفهوم العدوى والأمراض المعدية عند الأطباء العرب والمسلمين

لا نجد لمفهوم العدوى والأمراض المعدية في كتابات مؤرخي الطب العربي الإسلامي سوى إشارات متفرقة مما يجعل جمعها وتصنيفها بشكل علمي أمراً في غاية الأهمية من نواحي عديدة، أولاها إبراز معرفة الأطباء العرب المسلمين بأهم الأمراض المعدية وكيفية الوقاية منها، والثانية تسليط الضوء على اكتشافاتهم للبعض من تلك الأمراض ، والثالثة أن الأطباء العرب المسلمين لم يكونوا مجرد نقلة لطب الأمم السابقة بل قاموا بإضافة الكثير مما جادت به عبقريتهم في حقول الطب المختلفة منها هذا الحقل المهم .

وقبل أن ندخل في التفاصيل من المناسب الإشارة إلى نظرية الخمائر للتميمي عن مسببات الأمراض، حيث يقول

((فيتحصل باستنشاقه في أجسام ساكني هذه المدائن . . تلك المدة اليسيرة خمائر أمراض قد خالطت أخلاطهم الغالية ومازجتها فأحدث فيها أعفاناً تنمو فيها شيئاً بعد شيْ، فإذا دخل الخريف أثمرت تلك الخمائر بانقلاب الهواء من مزاج إلى مزاج ، فولدت عند ذلك الأمراض ، وأحدثت الأسقام في الأجساد . .)) [1]

يقول الأستاذ يحيى الشعار بأن التميمي بقوله هذا ((يرى بأن سبب الأمراض خمائر تدخل الجسم فتستقر فيه إلى أن يصبح الجسم مهيأً فتنمو وتسبب عفناً في أخلاط الجسم ينتج عنه المرض. . ونحن نرى أن هذه النظرية لمسببات المرض تشبه إلى حد كبير النظرية الجرثومية مع الاختلاف في تسمية الجراثيم بالخمائر)) [2] ،

ومع أن مفهوم العدوى من الأمراض كان قد برز في كتابات الأطباء العرب المسلمين كما سنرى، إلاّ أن عدم إكتشاف المكرسكوب حال دون معرفتهم علم الجراثيم وحدد معلوماتهم من ناحية الأمراض المعدية .

وعلى الرغم من ذلك فإن كتاباتهم عن بعض الأوبئة وإثبات العدوى وما ذكروه من بعض المعلومات حول الأمراض المعدية تدل على عبقرية فذة في الملاحظة والتجربة والفهم الصحيح .

---

[1] – التميمي (مصدر سابق) ص 132.

[2] – المصدر نفسه ص 54 .

ونقل الأوربيون إلى لغاتهم كل ما ذكره الأطباء العرب حول العدوى والأمراض المعدية وبقيت أفكارهم سائدة حتى اكتشاف المجهر (الميكروسكوب) سنة 1675 م من قبل (لونهوك) ومن ثم إيجاد نظرية المكروب في الأمراض حوالي سنة 1880 حيث في العشرين سنة التي تلتها شهدت الساحة الطبية اكتشاف أكثر الأمراض البكتيرية المهمة وإيضاح طرق العدوى ، ابتدئها باستور 1862 م بزرع وإنماء المكروبات وفي سنة 1882 م اكتشف كوخ ميكروب الكوليرا والسل واستمرت الاكتشافات في عالم المكروبات والأمراض المعدية فيما بعد وبشكل سريع لا يتسع المجال لذكر تفاصيلها .

كما وتجدر الإشارة إلى أن العلماء والأطباء الأوربيون لم يكتفوا باكتشاف الأمراض بل عملوا جاهدين على اكتشاف اللقاحات ضدها وكان جنر سنة 1796 م السباق في اكتشاف أول لقاح وكان ضد مرض الجدري ثم أعقبه آخرون في اكتشاف لقاحات أخرى لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً .

الإشارات الدالة على معرفة الأطباء العرب والمسلمين للعدوى في انتقال الأمراض :

1 . يقول الرازي عن الأمراض المعدية ((ومما يعدي الجذام والجرب والحمى الوبائية (التيفوئيد) والسل..إذا جلس مع أصحابها في البيوت الضيقة وعلى الريح . والرمد ربما أعدى بالنظر إليه . والقروح الكثيرة الرديئة ربما أعدت بالجملة كل علة لها نتن وريح فليتباعد عن صاحبها))[1].

2 . من المعلوم أنه قبل إجراء العمليات الجراحية لابد من التعقيم والتطهير ، وفي هذا المجال كان المسلمون أول من اكتشف الكحول واستعملوه لتطهير الجروح والعمليات ، وكانوا أول من ابتكر تحمية الآلات الجراحية على النار قبل استعمالها ضماناً لنظافتها وكفاءتها وبهذا اقتربوا كثيراً من اكتشاف الميكروبات [2] .

---

[1] – الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا : المنصوري في الطب – تحقيق د . حازم البكري الصديقي ، معهد المخطوطات العربية ، الكويت 1987، ص 225 .

[2] – أ . ك . هوفمان (إدارة السجل الطبي) الطبعة السادسة ، شركة سجل الأطباء ، إلينوي ، الولايات المتحدة الأمريكية 1972 ص 12 .

3 . كان العرب والمسلمون على علم بأن الفقر والجدب من العوامل المساعدة لانتشار الأوبئة وكثرة الخصب مزيل لها ، على سبيل المثال ذكر ابن عذارى عن الوباء الذي انتشر في القيروان ((لما كثر الخصب في سنة 396 هـ = 1005 م ارتفع الوباء)) [1].

4 . أقوال ابن الخطيب وابن خاتمة في مرض الطاعون [2]: يقول ماكس مايرهوف : فوصف المؤرخ والطبيب ابن الخطيب الغرناطي (1313 – 1374 م) عدوى الطاعون في غرناطة سنة 749 هـ في رسالته الشهيرة (مقنعة السائل في المرض الهائل) نذكر منها هذه الفقرة : ((وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة وهذه مواد البرهان ... و ... وقوع المرض في الدار أو المحلة فالثوب أو الآنية حتى القرط أتلف من علق بأذنه وأباد البيت بأسره ووقوعه في المدينة في الدار الواحدة ثم اشتعاله منها في أفراد المباشرين، ثم جيرانهم وأقاربهم وزوارهم خاصة حتى يتسع الخرق)) [3].

وكتب أبو جعفر أحمد بن خاتمة المتوفى (771 هـ / 1369 م) في كتابه (تحصيل غرض المقاصد في تفصيل المرض الوافد) ، ((في خلال وباء ظهر في المرية إحدى بلاد الأندلس، وقد عرف بالمرض الوافد الوبائي إلى أسباب خاصة وأسباب عامة وقسم الأسباب العامة إلى قريبة وبعيدة ، وأفاض المصنف في المسألة الرابعة المتعلقة بعدوى الوباء فقال : الظاهر الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه، أن هذا الداء يسري شره ويتعدى ضره، شهدت بذلك العادة وأحكمته التجربة فما من صحيح يلابس مريضاً ويطيل ملابسته في الحادث إلا ويتطرق إليه ويصيبه مثل مرضه)) [4]

وذكر أصناف ثلاثة من الطاعون :

((**الصنف الأول** : الطواعين ، وهي خراجات ناتئة تظهر في مغابن الجسد .

الصنف الثاني : تصاب به الرئة بتهتك .... ويقول عنه إنه لا علاج له .

---

[1] – ابن ميلاد : الطب العربي التونسي، تونس 1980، ص 156 نقلاً عن ابن عذارى ج 1، ص 300 .

[2] –الطاعون : مرض معد يتسبب عن مكروبات تنتقل إلى الإنسان والقوارض بواسطة البراغيث .

[3] – أرنولد ، توماس : تراث الإسلام – ترجمة جرجيس فتح الله ، دار الطليعة ، بيروت ط 2 ، 1972 ، ص 487 – 488 .

[4] – الشطي ، الدكتور شوكت : الوجيز في الإسلام والطب ، مطبعة جامعة دمشق ، 1960 ، الطبعة الأولى ص 180 .

الصنف الثالث : يكون بظهور القروح السود)) [1] .

والطب الحديث يقرر أن الإصابة بالطاعون تظهر بصور ثلاثة، أخطرها الطاعون الرئوي.

5 . وكان ابن التلميذ أول من نبه طلابه على الأمراض الوافدة فقد أوصاهم بقوله : ((لا تقدروا أن تحيطوا خبرة بكثرة الأمراض فإن منها ما يأتيكم عن طريق السماوة)) ومما يؤثر عن هذا الطبيب ذكر ضرر الذباب على الجرح قبل اكتشاف المتأخرين له ، حيث قال :

لا تحقرن عدواً لان جانبه ..... ولو يكون قليل البطش والجلد

فللذبابة في الجرح الممد يد ..... تنال ما قصرت عنه يد الأسد [2]

6 . مرض داء الكلب : جاء ذكر مرض داء الكلب لدى أغلب الأطباء العرب والمسلمين من أمثال المجوَسي ، وابن سينا ، وابن النفيس ، والدميري وغيرهم ووصفوه قبل باستور الذي أعلن أنه أول من اكتشف ووصف اللقاح للتحصين منه ، يصف ابن سينا أعراض هذا الداء في الكلب بشكل دقيق لا يتسع المجال لسردها الآن .

أما عن أعراض المرض في الإنسان فيقول : ((إذا عض الكلب الكلِب إنساناً لم ير إلاّ جراحه ذات وجع كسائر الجراحات ثم يظهر عليه بعد أيام شيئاً من باب الفكر الفاسد ... واختلاط العقل ... وتراه يشنج أصابعه وأطرافه يقبضها إليه ويهرب من الضوء ... وعطش ويبس فم وهرب من الزحمة ... وربما أبغض الضوء وتحمر أعضاؤه وخصوصاً وجهه ثم يتقرح وجهه ويكثر وجعه ويبح صوته ويبكي . ثم في آخره يأخذ في الخوف من الماء ... وكلما قربت منه تخيل الكلب فخاف منه وربما لم يفزع بل استقذره ... ويؤدي إلى تشنج وكزاز وتأدى إلى عرق بارد وغشي وموت وربما مات قبل هذه الأحوال عطشاً ... وربما نبح كالكلاب وكان أبح وربما انقطع صوته ... ومن عجائب أحواله أنه يحرص على عض الإنسان فإن عض إنساناً بعد هيجانه عرض لذلك الإنسان ما يعرض له)) [3] .

---

[1] – الخطابي : محمد العربي – الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، دار الغرب الإسلامي– بيروت/ لبنان – الطبعة الأولى 1988 ، ج 3 ص 157 .

[2] – ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، إصدار دار الفكر –بيروت ، 1956 ، ج 3 ص 283 .

[3] – ابن سينا ، أبو علي الحسين بن علي : القانون في الطب – مكتبة المثنى ، بغداد (طبعة بالأوفست) بدون تاريخ ج 3 ص 348 – 349 .

نجد في أقوال ابن سينا السابقة إشارة واضحة إلى أن كون داء الكلب من الأمراض المعدية ، وهذا الوصف القيم لمرض فيروسي هام من قبل ابن سينا يدل على دقة ملاحظة واستنتاج الأطباء العرب والمسلمين ، خاصة وأن هذا المرض لم يعرف إلاّ بعد أن اخترع المجهر المعقد وأكتشفت الفيروسات من قبل علماء توفرت لهم المختبرات والوسائل الحديثة .

ويروى أن الإمام ابن سحنون قاضي القيروان (المتوفى سنة 240 هـ / 854 م) أمر الشرطة بقتل الكلاب التي تجول بطرقات المدينة بالحرابة [1] .

7 . ويعزي المجوّسي حدوث الأمراض وانتشار الأوبئة إلى تبدلات الجو وفساد الهواء بالعفونات يقول : ((فأما خروج الهواء عن الاعتدال في جملة جوهره ، فهو أن يستحيل في جوهره وفي كيفياته إلى الفساد والعفن ، فيحدث في الناس أمراضاً وأعراضاً رديئة ... وتسمى هذه الأمراض ، بالوافدة وإنما سميت أمراض وافدة لأنها تعم كثيراً من الناس في زمان واحد، وذلك لأن السبب المحدث لها عامل مشترك وهو الهواء المحيط بنا)) .

((وأما تغير جوهر الهواء من قبل الموضع فيكون ذلك أما من بخارات تحدث من كثرة الثمار والبقول إذا أعفنت فيرتفع منها بخارات رديئة تخالط الهواء أو من بخارات ترتفع من الخنادق أو من البحيرات من الآجام أو من أقذار المدن ، وأما من حيث القتلى والموتى تكون في البلد أو بالقرب منه أما حرب يقتل فيه كثير من الناس أو موت البهائم ، ثم إذا حدث فيهم الوباء فيرتفع من تلك الجيف بخارات رديئة تخالط الهواء فيستحيل الهواء إلى جوهر البخار وكيفيته فيستنشقه الناس فتكثر فيهم الأمراض الرديئة المهلكة كالموت الذي عرض لأهل أثينة)) [2] . يقصد الطاعون الذي اجتاح أثينة سنة 543 ق.م

ويقال أن ابن التميمي استعمل التدخين لتطهير الهواء من الأوبئة وشرح استعماله في كتابه (مادة البقاء في إصلاح الهواء والتحرز من أضرار الوباء) [3] .

8 . لقد اعتقد ابن سينا أن حصول الأمراض يكون نتيجة شيء ما سماه (السبب) لعدم معرفته

(المكروبات) ، وتوصل بفطنته إلى أن حصول الأمراض تستوجب توفر نوع من الاستعداد

---

[1] – بن ميلاد ، الحكيم أحمد : الطب العربي التونسي (مصدر سابق) ص 153 .

[2] – المجوّسي ، علي بن العباس : كامل الصناعة الطبية المطبعة الكبرى بالديار المصرية 1294 هـ ج 1 ص 168 – 169 .

[3] – خير الله ، الدكتور أمين أسعد : الطب العربي ص 188 .

البنيوي ، كما أنه خمن ما يحصل من صراع بين قوة المكروبات (السبب كما سماه) وبين وسائل الجسم الدفاعية وهي العملية التي تسمى اليوم بـ(Antigen – Antibody Reaction) كما أنه توصل إلى أن (السبب) قد يتغير تبعاً لظروف مختلفة وهذا ما ينطبق فعلاً على بعض المكروبات ومنها (الرواشح ، الفيروسات) يقول ابن سينا في القانون ما نصه : ((ليس كل سبب يصل إلى البدن يفعل فيه ، بل قد يحتاج مع ذلك إلى أمور ثلاثة : 1 . إلى قوة من قوته الفاعلة، 2 . وقوة من قوة البدن الاستعدادية ، 3 . وتمكن من ملاقاة أحدهما للآخر بزمان في مثله يصدر ذلك الفعل منه . وقد تختلف أحوال الأسباب عند موجباتها ، ربما كان السبب واحداً واقتضى في أبدان شتى أمراض شتى ، أو في أوقات شتى أمراض شتى ، وقد يختلف فعله في الضعيف والقوي في شديد الحس وضعيفه)) [1] .

وهذا ما نؤيده نحن أطباء القرن العشرين من أن دخول المكروب لا يعني بالضرورة حدوث المرض في الإنسان ، وإنما وبمشيئة الله إن كان لدى المريض قوة ومنعة ضده فلا يؤثر فيه ، بينما يسبب المرض في من ليس لديه قوة دفاعية كافية في جسمه .

9 . لقد سبق ابن خلدون وابن رضوان أطباء وعلماء البيئة بعدة قرون في مسألة تلوث البيئة ، فهذا ابن خلدون على الرغم من عدم كونه طبيباً إلاّ أنه أكد بأن الزحام والهرج هما سببين رئيسيين من أسباب سرعة انتقال الأمراض المعدية خصوصاً أمراض الرئة ويستعرض بإيجاز أسباب تلوث الهواء في المدن المزدحمة وأخطار ذلك على صحة الأفراد ويؤكد على ضرورة ترك الفراغات بين الأبنية للتهوية كطريقة للحيلولة دون تلوث الهواء أو للإقلال من التلوث [2].

أما ابن رضوان فإنه أكد بأن مياه النيل تتلوث نتيجة وقوفه عن الحركة لاحتقان الماء فيه وعند الفيضان حيث يجلب العفونات والأوساخ من المستنقعات والمدن التي يمر منها لذلك يؤكد على ضرورة غليه وتصفيته قبل شربه . كما أكد أيضاً أن ماء آبار القاهرة لا تصلح

---

[1] – ابن سينا : القانون (مصدر سابق) ج 1 ، ص 80 .

[2] – ابن خلدون ، عبد الرحمن : المقدمة – دار الفكر بدون تاريخ ، ص 293 .

للشرب لأنها تختلط بما يترشح فيها من عفونة المراحيض ، جاءت آراؤه هذه في كتابه دفع مضار الأبدان بأرض مصر[1].

الذي يعتبر محاولة رائدة فيما نسميه الآن بالطب الجغرافي أو الجغرافية الطبية . كما يمكن أيضاً اعتبارها بحثاً مبكراً في طب الأمراض المتوطنة .

10 . قول الإمام الغزالي عن حقيقة حامل المكروب وفترة الحضانة حيث يقول : ((أن الهواء في البلدة المصابة بالوباء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل إلى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر إلاّ بعد التأثير في الباطن . فالخارج من البلد يقع به الوباء لا يخلص غالباً مما استحكم به))[2].

11 . قول الزهراوي في الحمى الوبائية ، يقول : ((من أسبابها إفراط الكيفيات على الهواء من بخارات المياه الراكدة المتعفنة وما يغلب على الهواء من روائح الجيف والقتلى ... وما شاكل ذلك ، فإذا تغير الهواء وفسد بأحد هذه الأسباب – ولا سيما نتن الجيف والموتى – فهو أعظم ضرراً فيعرض عند ذلك لأكثر الناس أمراض رديئة من جنس الطواعين ... وتحدث هذه الحميات ... باستنشاق الهواء))[3].

12 . ويميز ابن المطران بين الأوبئة التي يسميها (الأمراض الوافدة) وبين الأمراض المتوطنة التي يطلق عليها (الأمراض البلدية) فيقول : ((الفرق بين الأمراض الوافدة والأمراض البلدية أن الأمراض الوافدة هي التي تحدث على أهل مدينة بأسرها أو أكثرهم في وقت واحد . والأمراض البلدية هي التي تحدث في مدينة بحسبها في كل وقت على سبيل العادة))[4].

---

[1] – ابن رضوان ، علي : رسالة في الحيلة في دفع مضار الأبدان بأرض مصر تحقيق الدكتورة رمزية الأطرقجي ، جامعة بغداد 1988 ص 24 ، 42 ، 74 ويراجع أيضاً رشدي ، محمد : مدنية العرب في الجاهلية والإسلام ص27 – 28 .

[2] – البار ، د . محمد علي : العدوى بين الطب وحديث المصطفى – دار الشروق ، جدة 1977 ص 76.

[3] – الزهراوي – التصريف : المقالة الثانية – نقلاً عن العربي الخطابي – الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ج 1 ص 209 .

[4] – ابن المطران ، أبو نصر أسعد : بستان الأطباء وروضة الألباء ، تحقيق د . عبد الكريم أبو شويرب ، طرابلس – ليبيا 1993 ص 154 .

13 . ويعرف ابن رضوان المرض الوافد والموتان فيقول ((ومعنى المرض الوافد ان يعم خلقاً كثيراً في بلد واحد وزمان واحد ، ومنه نوع يقال له الموتان وهو الذي يكثر معه الموت)) [1]

14. ويقول محمد بن أحمد التميمي [2]((والدليل على صحة ذلك - يقصد العدوى – دل: أنا نرى المنزل الذي فيه جماعة ممن لم يحصب أو يجدَر قط ، إذا حدث بواحد منهم إحدى هاتين العلتين ، لم تلبث تلك الجماعة إلا اليسير حتى تنتلهم تلك العلة بعينها ، إما واحداً بعد واحد وإما لوقت واحد ، وليس السبب في ذلك غير تنسمهم ذلك الهواء الممازج لنفس الوصب - المريض - ، وقد نجد كثيراً من العلل تعدي من دنا من العليل أو باشره أو واكله أو شاربه أو شرب من إنائه الذي يشرب فيه أو ضاجعه في فراشه ، فمن ذالك داء الأسد –الجذام- فإنه يعدي من واكل المجذوم أو شاربه أو الدنو منه والمجالسة له)) . . ((ومما يعدي من العلل بقوة وقد بان لي إعداؤه مراراً علة ذات الرئة أعني قرحة الرئة المفضية بالمريض إلى السل)) . . ((فأما الجرب فإنه يعدي من . . لبس قميصه أو ضاجعه في فراش))

15 . وخاتمة هذه النصوص قول إبراهيم عبد الرحمن الأزرق في كتابه (تسهيل المنافع) الصريح في ذكر وتحديد الأمراض المعدية بواسطة الهواء حيث يقول : ((وينبغي للإنسان اجتناب الأمراض المعدية بواسطة الهواء إلى مجالسة أصحابها كالجذام والجرب والرمد والسل فليحذر القرب من أصحابها وليتباعد عنهم إلى فوق الرمح إلى ما بعد)) [3] . إن تحديد المسافة بين الصحيح والمريض إلى أكثر من الرمح خشية العدوى هي نفس المسافة التي نشترطها اليوم بين أسرّة المرضى في المستشفيات .

---

[1] – ابن رضوان : رسالة في الحيلة في دفع مضار الأبدان بأرض مصر (مصدر سابق) ص 46 .

[2] – التميمي : مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء (مصر سابق) ص 138–139.

[3] – الأزرق ، إبراهيم عبد الرحمن : تسهيل المنافع في الطب والحكمة – نشر عبد الحميد أحمد لطفي ، مصر بدون تاريخ ص 180 .

الفصل الرابع
الأمراض المعـديـة والسـارية التي جاء ذكرها في الكتب الطبية العربية

أولاً – الأمراض المعدية التي تتسبب عن الأحياء الدقيقة (المكروبات) أو(الرواشح = الفيروسات) وشملت ما يلي :

1-الجدري والحصبة والحميقاء: إن أهم ما يسجله التاريخ بفخر للرازي في هذا الباب هو كونه لأول مرة في تاريخ الطب في كتابه (رسالة في الجدري والحصبة) فرّق بين هذين المرضين ووصف كلاً منهما على حدة بصورة تفصيلية خلافاً لمن سبقه من الأطباء العرب واليونان إذ أنهم كانوا يعتبرون المرضين واحداً، وقد جاء ذلك في ثلاثة مواضع من رسالته هذه[1].

وكان البلدي أول من قدم وصفاً دقيقاً لمرض الحميقاء ومن استعراض وصفه لهذا المرض يظهر أنه يقصد ما نسميه اليوم بجدري الماء أو الجدري الكاذب (Chickenpox) يقول في ذلك ((فأما الحميقاء فإنها لا تكاد أن يعرض معها في الحمى وجع الظهر ولا التفزع ... وتخص هذه الحمى قشعريرة ... وظهور البثر في هذا يكون مع الرابع إلى السابع وإذا ظهر لم يشبه الجدري ولا الحصبة في حال البتة ...))[2]. وبذلك يعتبر مكتشفاً لهذا المرض .

2-شلل الأطفال : يقول الرازي في ذلك : ((يحدث الشلل في الأطفال إما في طرف واحد أو في الجسم كله ويمنع الطفل من المشي أو أي نوع من الحركة ويحدث من سبب رطوبة لطيفة تشل العصب . علاج ذلك إذا لم تكن ولادية ... أن يوضع في حمام وأن تدهن مفاصل الطفل بالدهان واستعمل يومياً المعاجين التالية ...))[3].

---

[1] – للزيادة من التفصيل يراجع محمد ، الدكتور محمود الحاج قاسم : تاريخ طب الأطفال عند العرب – مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ط 3 ، ص 1989 ، ص 184 .

[2] – البلدي ، أحمد بن محمد بن يحيى : تدبير الحبالى والأطفال والصبيان – تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم محمد دار الشؤون الثقافية ، بغداد ط 2 1978 ، ص 324 .

[3] – الرازي : رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم (أو تدبير الصبيان) ، ترجمة الدكتور محمود الحاج قاسم محمد عن الإنكليزية (مصدر سابق) ، ص 18 .

وفي قسم آخر من الكتاب نفسه يتكلم عن العلاج الطبيعي كالتدليك والتمارين العلاجية والحمامات المائية كلاماً صائباً حيث أن ذلك معمول به الآن في علاج شلل الأطفال كما هو معلوم .

3- الكزاز: يقول أحمد الطبري عن هذا المرض : ((يحدث في أفمام الصبيان علة تعرف بالاصطكاك ... وهو أن تصطك أسنانه ويبرز عيناه في سائر بدنه ، شبيه بالاختلاج ولم أر طفلاً حديث به هذه العلة نجا منها ... ذلك هو الكزاز ولا يكاد يحدث هذا بالطفل الاّ إذا كانت به جراحة خفيفة أو ظاهرة)) [1] .

ومن بين الأعراض التي ذكرها ابن سينا لهذا المرض قوله : ((أما علامات الكزاز ... فأن يكون الشخص كالمخنوق مختنق الوجه والعين وربما قيل إنه يضحك مع امتلاء العنق لا يستطيع الالتفات وربما لم يقدر أن يبول .... وربما بال بلا إرادة ....)) [2] .

إن هذا الوصف الصحيح لأسباب وأعراض وإنذار هذا المرض لم يضف الطب الحديث إليه شيئاً يذكر سوى مسألة الوقاية . ويذكر الرازي في الحاوي بأنه : ((كان صبي أصابه نخس في الجانب الأيسر من عضده في العضل فوضع عليه الطبيب دواء قد امتحنه في جراحات أخرى فتشنج الغلام ومات لأن جراحته لم تكن واسعة لكن كانت نخسة)) . نستنتج من ذلك بأن الرازي يعزي سبب إصابة الطفل بالكزاز إلى ضيق فم الجرح والتقيح الحادث في عمقه ويؤكد ضرورة توسيع فم الجرح وهذا ما ينصح به الأطباء اليوم في حالة مماثلة حتى اليوم [3] .

4 - الجذام : جاءت الإشارة لعدوى الجذام في أحاديث الرسول ﷺ التي سبق ذكرها . أما أول من أشار إلى انتقال العدوى فيه إلى الطفل كان علي بن ربن الطبري ، وأول من وصف مرض الجذام وصفاً شاملاً فقد كان ابن ماسويه [4] وتبعه الكثير من الأطباء العرب بتفصيل طبيعة المرض المعدية وأعراضه وعلاجه ولا يكاد يخلو كتاب من كتبهم من ذكره .

---

[1] – الطبري ، أحمد بن محمد : المعالجات البقراطية ، مخطوطة دار الكتب المصرية ص 13 .

[2] – ابن سينا : القانون ، ج 2 ص 103 .

[3] – حسين ، الدكتور محمد كامل : طب الرازي دراسة تحليلية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1977 ص 41 .

[4] – هونكة ، سيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب – ترجمة فاروق بيضون / كمال دسوقي ، المكتب التجاري ، بيروت 1964 ، ص 273 .

5 – السل : مرض السل عندهم عبارة عن حدوث قرحة في الرئة يصعب برؤها ويفرقون بين الخراج وبين القروح ويصف ابن سينا هيئة المستعدين للسل وصفاً جيداً حيث يقول ((هؤلاء هم المجنحون الضيقو الصدر العريو الأكتاف من اللحم الطويلو الأعناق المائلوها إلى قدام . والسن الذي يكثر فيه السل ما بين ثماني عشرة سنة إلى حدود الثلاثين كما وهي في البلاد الباردة أكثر ... وقد يعرض للمسلول أن يمتد به السل ممهلاً إياه برهة من الزمان ، وأصحاب قروح الرئة يتضررون بالخريف)) . ثم يميز بين السل وغيره ويذكر علامات السل بقوله ((السعال ، الذي كثيراً ما يشتد بهم ويؤدي إلى نفث الدم أو السدة ، وحمى رقيقة لازمة تشتد عند الليل . ويفيض العرق منهم كل وقت ، ويأخذ البدن في الذبول والأطراف في الانحناء والشعر في الانتشار وتبطل الشهوة للطعام)) .

ومن ملاحظاته هنا أيضاً قوله ((وأقبل الأسنان لعلاج السل هم الصبيان)) [1] . كما ويقال بأنه اكتشف طبيعة لسل المعدية لأول مرة وكان الرازي أول من لاحظ تقوس الأظافر (Clubing) في حالة الإصابة بالسل حيث يقول ((فإذا وقع في السل كمدت الوجنتان وذبل اللحم وتعققت الأظافر)) [2] .

6- الطاعون : لقد سبق ذكره في أقوال ابن الخطيب وابن خاتمة ولا حاجة لتكراره .

7- داء الكلب : سبق الكلام عنه .

8- الرمد : لقد كان عبد الله بن قاسم الحريري من أوائل الأطباء العرب الذين أكدوا طبيعة هذا المرض المعدية بشكل جلي حيث قال : ((ومن أمراض العين ما يعدي ويتوارث ومنها ما يعدي ولا يتوارث ... الأول كالسبل والثاني كالرمد ولا سيما إلى عين من ينظر إليه .....)) [3] . وقد سبق وأن ذكرنا قول ابن الأزرق في التأكيد على ذلك .

---

[1] – ابن سينا : القانون (مصدر سابق) ج 1 ، ص 249 .

[2] – الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا : الحاوي – مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ، الهند ط 2 ، 1974 ، ج 4 ، ص 96 .

[3] – الحريري الإشبيلي البغدادي ، عبد الله بن قاسم : نهاية الأفكار ونزهة الأبصار – تحقيق د . حاز البكري / د . مصطفى شريف العاني ، دار الرشيد للنشر ، بغداد 1979 ، القسم الأول ص 95 – 96 .

9 - الأمراض التناسلية :

أ- **مرض الزهري (المرض الفرنجي = السفلس) :** من المعروف بأن كتب المتقدمين من الأطباء العرب والمسلمين لا نجد فيها ما يشير إلى معرفتهم لهذا المرض مما يدلل على أنه لم يكن منتشراً بينهم . ويذكر البعض [1] بأن الزهراوي قد أشار إلى هذا المرض حينما تكلم عن مرض الشرى في الباب الثاني (الفصل السادس والخمسين) من المقالة الثلاثين بعنوان ((في الشرى الذي يعرض في القلفة والكمرة ...)) وقال عنه أنه بثر يعرض في الإحليل ... ويكون منه خبيث وغير خبيث)) . الاّ أننا قد وجدنا بأن أول إشارة صريحة لهذا المرض هو ما ذكره الأنطاكي عندما تحدث عن فوائد علاج الزئبق فقال بأنه يجفف الحب الإفرنجي [2] . والمعروف بأن الزئبق بقي العلاج المفضل لهذا المرض في أوربا لحين اكتشاف البنسلين (سنة 1942) .

وقد أجمع المؤرخون أن الزهري دخل أوربا في أواخر القرن الخامس عشر أدخله البحارة الذين رافقوا كريستوفر كولومبوس عند رجوعهم من أمريكا الجنوبية وكان أول ظهور هذا المرض بشكل وبائي عام 1494 م أثناء الحرب الإيطالية الفرنسية .

((وكتب بلحسن الوزاني (ليون الأفريقي) في الرحلة التي قام بها في شمال أفريقيا سنة 1516 ، إن جمعاً غفيراً من اليهود الذين طردهم فرديناند ملك إسبانيا حلّوا في أفريقيا وحلّ معهم المرض الإفرنجي وانتشر باختلاط بعض الأهالي بنسائهم)) [3] .

ولما وصل الاستعمار الغربي إلى البلاد العربية ظهر ذلك الداء معهم فسماه العرب الداء الفرنجي .... ولا يزال هذا الاسم مستعملاً حتى اليوم .

ب- **السيلان :** ذكره ابن الجزار ضمن أمراض القضيب دون تحديد الاسم .

ج- **الجمرة الخبيثة :** كان ابن سينا أول من أشار إلى هذا المرض ووصفه في القانون بقوله: ((فصل في الجمرة والنار الفارسية هذان اسمان ربما أطلقا على كل بثرة أكال منفط مخرق محدث خشكريشة .... وربما أطلق اسم النار الفارسية من ذلك على ما كان هناك من جنس النملة أكال محرق منفط فيه سعي ورطوبة .... قليل السواد قليل التقعير ... وأطلق اسم

---

[1] – العربي ، الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ج 1 ص 145 . نقلاً عن بحث : Dr Renaud المؤتمر الطبي في تونس – مارس 1934 .

[2] – الأنطاكي ، داود : التذكرة – مكتبة محمد علي صبيح ، ج 1 ص 169 .

[3] – ابن ميلاد ، الحكيم أحمد : تاريخ الطب العربي التونسي ، ص 166 .

الجمرة على ما يسود المكان ويفحم العضو ومن غير رطوبة ويكون الكثير السوداوية غائصاً....)) [1].

ثانياً – الأمراض المعدية التي تتسبب عن الطفيليات :

1-مرض النوم : إن أحمد بن محمد القلقشندي (756 – 821 هـ = 1355 – 1418 م) كان أول من أشار إلى مرض النوم عندما تحدث عن أحد ملوك مالي وهو (قنتبا بن سليمان) حيث قال : ((وكان آخر أمره أن أصابته علة النوم وهو مرض كثيراً ما يصيب أهل تلك البلاد لاسيما الملوك منهم ، يأخذ أحدهم النوم حتى لا يكاد يفيق ، فأقام به سنتين حتى مات)) [2].

2-الجرب : إن أول من أشار لطفيلي الجرب من الأطباء العرب هو أبو مروان عبد الملك بن زهر . وهو ثاني طبيب يشير إلى ذلك بعد الطبيب اليوناني الإسكندر الترالي [3] حيث وصفه تحت اسم الصؤاب يقول ابن زهر ((ويحدث في الأبدان في ظاهرها شيئاً يعرفه الناس بالصؤاب ، وهو حكة تكون في الجلد ويخرج إذا قشر الجلد من مواضع منه حيوان صغير جداً يكاد يفوت الحس)) [4].

وهو قول مطابق تماماً لما هو معروف اليوم من أن الآفة حكة في الجلد وأنه لا يمكن رؤية الحيوان المختبئ الاّ بإزالة القشور عن المواضع الحاكة ، وإن الحيوان متناه في الصغر لا تكاد العين تحس به أو تراه)) .

3-حبة بغداد = قرحة الشرق وتسمى أيضاً (حبة بلخ = البلخية) : إن أقدم من وصف هذا المرض وأعطى أعراضه بصورة دقيقة وواضحة كان (أبو منصور بن نوح القمري البخاري) من قصبة بلخ في خراسان ، أحد أساتذة ابن سينا (توفي سنة 991 م) وممن أشار إلى حبة بغداد ابن سينا ، وقد ذكرها باسم قرحة أو حبة بلخ حيث يقول : ((والبلخية من جنس السعفة الرديئة وربما كان سببها لسعاً مثل البعوض الخبيث)) [5].

---

[1] – ابن سينا : القانون (مصدر سابق) ج3 ص 118 .

[2] – القلقشندي : صبح الأعشى وزارة الثقافة والإرشاد ، مصر (بدون تاريخ) ج 5 ص 297 .

[3] – Carison – Introd . Hist. Med. P.132

[4] – ابن زهر ، أبو مروان عبد الملك : التيسير في المداواة والتدبير– تحقيق ميشيل الخوري – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1983 ، ص 364.

[5] – ابن سينا : القانون (مصدر سابق) ج 3 ص 288 .

إنه من المناسب هنا أن ننبه إلى أن الناس في بلخ ربطوا بين المرض وبين عضة البعوض فأطلقوا اسم عضة البعوض (باشا غازيداجي) على الحبة . علماً بأن ناقل المرض حشرة تشبه البعوض ويطلق عليها ذبابة الرمل phlebotomus Caucasus وليس البعوض ، وقد يكون ذلك من أقدم الإشارات إلى حدوث أو انتقال مرض مستديم ومتوطن بعد عضة البعوض أو بكلمة أخرى حشرة ما [1] .

وظلت قرحة الشرق متوطنة في تلك المناطق حتى القرن الخامس عشر الميلادي ، حين كتب عنها منصور بن محمد بن أحمد بن يوسف الفقيه الياس مسمياً إياها ((البلخية)) . ثم جاء أول ذكر للمرض في الشرق الأوسط بعد ذلك بقليل إذ ذكر بهاء الدولة بن قوام الدين قاسم الرازي ، في كتابه المؤلف نحو عام 1500 م والمسمى خلاصة التجارب أن المرض كان منتشراً في بغداد من ثم عرفه بعض الناس باسم حبة بغداد [2] .

4-حمى البرداء (الملاريا = حمى المستنقعات) :

تنبه العرب والمسلمون إلى علاقة المستنقعات بانتشار الحمى ، فمما يروى بأن كثيراً من المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة أصيبوا بالحمى وكان في المدينة مستنقع يسمى (بطحان) فلما ردمه المسلمون اختفت هذه الحمى .

وجاء وصف هذا المرض وأعراضه لدى بعض الشعراء العرب مثل المتنبي الذي كان في مصر عام 348 هـ = 959 م حين أصابته الحمى فقال في ذلك قصيدة طويلة نقتطف منها :

وزائـــرتي كـــأن بها حيـــاء ..... فليس تزور الاّ في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا ..... فعافتها وباتت في عظامي

وجاءت إشارات عديدة لدى الأطباء العرب والمسلمين حول العلاقة بين المستنقعات وانتشار الأوبئة وقول ابن زهر : ((وأما المياه فإنها إن كانت مياهاً راكدة حتى تنتن وتكون عكرة مما تحتها من حمأة وأقذار ، فإنها قد يكون عنها ما ذكرته من الوباء بالحميات الدقية)) [3] .

والوباء الذي أشار إليه صاحب الحلل السندسية ج 2 ص 347 الذي يحف بجهة قابس (في تونس) وسببه شجرة الدفلة والمياه الجارية حولها وعفونتها وخاصة ماؤها ، فإنه من نوع

---

[1] – أبو الحب ، الدكتور جليل كريم : حبة بغداد – مقال مجلة المورد العدد 4 المجلد 7 السنة 1979 .

[2] – تاريخ مرض الليشمانيا الجلدي ودور العلماء المسلمين فيه : د . عبد الحافظ حلمي محمد – د . منى التقي : مؤتمر الطب الإسلامي الأول – الكويت 1401 هـ .

[3] – ابن زهر : أبو مروان عبد الملك – التيسير في المداواة والتدبير (مصدر سابق) ج 1 ص 422 .

حمى المستنقعات أيضاً ما جاء في صحيفة 438 من الكتاب نفسه أن قرية أجاص (من الجنوب التونسي) ذات مياه كثيرة وبها عين خرارة عذبة غير أنها مستوبأة [1] .

وعلى الرغم من عدم معرفتهم أن البعوض هو ناقل لمرض الملاريا إلاّ أننا نجد وصفاً عند النويري في الإشارة إلى تركيب وعمل خرطوم البعوض حيث يقول ((وخرطوم البعوض أجوف نافذ الخرق ، فإذا طعن به جلد الإنسان استقى به الدم وقذف به إلى جوفه)) [2].

ثالثا – الديدان :

إن عرض الأطباء العرب والمسلمين لموضوع الديدان اعتمد أساساً على شكل الديدان البالغة كما تبدو للعين المجردة ، وما كان لهم أن يذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث إنهم لم تكن لديهم المجاهر التي تكشف عن دقائق تركيب هذه الديدان وأطوار نموها كالبويضات واليرقات . وللسبب نفسه لم يوفقوا في فهم مصدر هذه الديدان وقالوا إنها تتولد في الأمعاء من البلغم إذا كثر العفن مستندين بذلك على نظرية الأخلاط الأربعة [3] .

ولكن عدم معرفتهم بطبيعة الديدان ودورات حياتها لم يمنعهم عن وصف أعراضها وصفاً دقيقاً فقالوا إنها كثيراً ما تتولد في الأطفال والصبيان وهي تهيج عند النساء ووقت النوم أكثر ومن أعراضها الجوع والخفقان الشديد والغثيان والمغص والإسهال وانتفاخ البطن ، وإذا اشتدت العلة والجوع سقطوا أو تشنجوا والتووا كأنهم مصروعون دون فقد عقولهم وربما تأذت الرئة والقلب بمجاورتها فحدث سعال يابس وخفقان في البطن ، ويعرض لبعضهم يرقان . ومن علاماتها سيلان اللعاب ، أما الصغار فيدل عليها حكة المقعدة ولزوم الدغدغة عندها ويعرض صراخ وتململ .

والمبدأ العام في علاج الديدان أن يمنعوا من المادة المولدة لها من المأكولات الرطبة اللزجة مثل الفواكه والبقول والألبان واللحم الخام . وأن تنقى البلاغم التي في الأمعاء التي منها تتولد ، وأن تقتل بأدوية هي سموم بالقياس إليها .. ثم تسهل بعد القتل إن لم تدفعها الطبيعة بنفسها

---

[1] – ابن ميلاد ، الحكيم أحمد : تاريخ الطب العربي التونسي (مصدر سابق) ص 156 .

[2] – النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الارب – وزارة الثقافة والإرشاد مصر (بدون تاريخ) ج 10 ، ص 301 .

[3] –حسين ، الدكتور محمد كامل : الموجز في الطب والصيدلة عند العرب ، طبع على نفقة الحكومة الليبية ص 71 – 72 .

ولا يجب أن يطول مقامها في البطن بعد الموت ، ثم يصفون عشرات الأدوية (كالشيح والترمس وبزر الكرفس والثوم وقشر الرمان وورق الخوخ). وأما حب القرع فإنها تحتاج إلى أقوى من الأفسنتين كالسرخس أما المحمولات فهي أولى بأن تخرج من أن تقتل ، الاّ ما كان في المستقيم من صغار الديدان فهذه قد يقتلها احتمال الملح والاحتقان به وأقوى من ذلك احتمال النفط الأبيض أو القطران . والتعب والرياضة الشديدة قد تسهل خروج الديدان . أما أهم الديدان التي جاء ذكرها في كتبهم فيمكن تقسيمها إلى نوعين:

أ- الديدان المعوية وهي :

1 . الديدان الطوال العظام (الحيات) : وهي تشمل الديدان من صنف الإسكارس .

2 . الديدان الصغار (دود الخل) : وهي تشمل الأوكزيورس .

3 . العراض (حب القرع) = الديدان الشريطية : يقول البلدي عنها بأنها إن خرجت كلها تخلص المريض منها وإن انقطعت تولدت ثانية ، وهذا قول صحيح لا شك [1].

4 . الديدان المستديرة : ذكرها ابن سينا ويقال بأنها دودة الإنكلستوما ، وقد أكد ذلك الدكتور محمد عبد الخالق عام 1921 م وقد أقرت مؤسسة روكفلر الأمريكية ذلك فسجلت أن ابن سينا عرف مصدر هذا المرض قبل أن يعرفه الطبيب الإيطالي (دوبيني) الذي ينسب إليه اكتشاف هذا المرض [2] .

إن قائمة العلاجات التي استخدمها الأطباء العرب والمسلمون في معالجة الديدان طويلة نذكر منها (الآس ، أفتيمون ، افسنتين ، انيسون ، بابونج ، ترمس ، ثوم ، حب النيل ، حبق ، حنظل ، خوخ ، رمان ، سرخس ، صبر ، صعتر ، عصفر ، كمون ، هندباء ، نعنع . .) .

ب – نفاخات الماء =الأكياس العدرية = الأكياس المائية Hydatid Cyst :

على الرغم من عدم معرفة الأطباء العرب والمسلمين لطبيعة هذه الديدان إلا أننا نجد إشارات لها في كتبهم . حيث ينقل الرازي عن جالينوس فيقول ((ج : إنه قد يحدث به نفاخات الماء في ظاهر الكبد أكثر من حدوثه في سائر الأعضاء وإنما تتولد هذه النفاخات في الغشاء المحيط بالكبد فقد ترى في كثير مما تذبح من الحيوان نفاخات في أعالي كبده مملوءة من ذلك الماء فإن اتفق بعض الأوقات أن تنفجر هذه النفاخات فإن ذلك الماء ينصب فيصير في

---

[1] – البلدي : تدبير الحبالى والصبيان – مقدمة المحقق الدكتور محمود الحاج قاسم محمد .

[2] – طوقان ، قدري حافظ : العلوم عند العرب – مكتبة مصر بالفجالة 1956 ، ص 18 .

الفضاء الذي في جوف الغشاء الممتد على البطن في الموضع الذي يجتمع فيه في المستسقين الماء)) [1] .

ج- **داء الخيطيات (داء الفيلاريا Filariasis) :** مما ذكروه من أنواعها :

1- داء الفيل Filaria Bancrofts : يقول ابن سينا عن هذا الداء : ((هو زيادة في القدم وسائر الرجل على نحو ما يعرض في عروض الدوالي فيغلظ القدم)) . وعن علاجه يقول : ((أما داء الفيل فخبيث قلما يبرأ ويجب أن يترك بحاله إن لم يؤذ فإن أدى إلى تقرح وخيفت الأكلة لم يكن الاّ القطع من الأصل)) [2] .

2- العرق المدني (دودة المدينة Drancoculus) = Median worm Medinensis

لا يكاد كتاب من الكتب الطبية يخلو من العرق المدني الاّ أننا لا نظن أحداً وصف هذه العلة حتى عصرنا هذا بأكثر مما قاله الرازي عنها وقوله فيها صواب كله . والمعروف أنها سميت كذلك نسبة إلى المدينة المنورة (يثرب) أو على الأقل نسبة إلى الجزيرة العربية [3] .

يقول الرازي : ((العرق المدني قد يكون في البلاد الحارة وبشرب المياه الرديئة)) [4] . ويقول : ((ويحدث في البلاد اللطيفة الهواء الحارة وفي الأبدان الرطبة المترفة إذا انتقلت إليها)) [5] . ((ويتولد في الهند ومصر ويعرض في الأعضاء العظمية مثل المعصمين والساقين والفخذين ، وأما في الصبيان فقد يعرض في الجنبين ، وكونها تحت الجلد ويخرج منه طرف العرق فإن مد عرضت عنه أوجاع شديدة وخاصة إن انقطع)) [6] .

أما عن طريقة التخلص من هذه الدودة فنذكر قول الزهراوي حيث تكلم هو الآخر كلاماً يستوجب الإعجاب يقول في سل العرق المدني : ((هذا العرق يتولد في الساقين في البلاد الحارة كالحجاز وبلدان العرب وفي الأبدان الحارة القصيفة القليلة الخصب وربما تولد في مواضع أخرى من البدن غير الساقين ... وعلامته ابتداء حدوث هذا العرق أن يحدث في الساق تلهب

---

[1] – الرازي : الحاوي ، ج7 ص183 .

[2] – ابن سينا : القانون ج 2 ص 116 .

[3] – حسين ، الدكتور محمد كامل / العقبي ، د . عبد الحليم : طب الرازي – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1977 ، ص 397 – 398 .

[4] – الرازي : الحاوي (مصدر سابق) ج 11 ص 293 .

[5] – المصدر نفسه ص 294 .

[6] – المصدر نفسه ج 10 ص 191 .

ثم تنفط الموضع ثم يبتدئ العرق يخرج من موضع ذلك التنفط كأنه أصل نبات أو حيوان)) وبعد ذلك يقول : ((فإذا ظهر منه طرفه فينبغي أن يلف على قطعة صغيرة من الرصاص تكون زنتها من درهم إلى درهمين وتعقده وتترك الرصاص معلقاً في الساق ، فكلما خرج منه شيء إلى خارج لففته في الرصاص وعقدته فإن طال كثيراً فاقطع بعضه ولف الباقي ولا تقطعه من أصله قبل أن يخرج كله لأنك إن قطعته ودخل في اللحم أحدث ورماً وعفناً في الموضع وقرحة رديئة فلذلك ينبغي أن يدارى ويجر قليلاً قليلاً حتى يخرج من آخره ولا يبقى منه شيء في البدن، وقد يخرج من هذا العرق في بعض الناس ما يكون طوله خمسة أشبار وعشرة ... فإن انقطع لك في حين علاجك له فادخل مروداً في الثقب وبطه طويلاً مع البدن حتى يفرغ كل ما فيه من مادة وحاول تعفين الموضع بالأدوية أياماً ثم عالجه بعلاج الأورام ، وقد يكون هذا العرق ذا شعب كثيرة ولا سيما إذا ظهر في مفصل الرجل أو الرجل نفسه فيحدث له أفواه كثيرة ويخرج من كل فم شعبة فعالجه كما ذكرنا في التقسيم وبما تقدم)) [1] .

إن طريقة العلاج هذه هي الطريقة المستعملة للتخلص من الدودة حتى اليوم .

3- الدود المتولد تحت الجلد (Loiasis) [2] :

خصص الزهراوي لهذه الدودة فصلاً خاصاً تحت اسم (الشق على الدود المتولد تحت الجلد ويسمى علة البقر) فقال : ((هذا المرض يسمى في بعض البلدان عندنا علة البقر من أجل أنها كثيراً ما يعرض للبقر دودة صغيرة تتولد بين الجلد واللحم وتدب في الجسم كله صاعدة وهابطة تتبين للمس عند دبيبها من عضو إلى عضو حتى تخرق حيث ما خرقت في الجلد موضعاً وتخرج وتكونها من عفونة بعض الأخلاط ...)) إلى أن يقول : ((وإنما يتوقع من أذيتها أنها إذا دبت في الجسم وارتفعت إلى الرأس وبلغت العين فربما فتحت فيها وخرجت فأبطلت العين ويعرض ذلك كثيراً فإذا أردت علاجها وإخراجها فإنما يكون ذلك عند دبيبها وظهورها للمس فينبغي أن تشد ما فوقها وتحتها برباط شداً جيداً ثم تشق عليها وأخرجها ، فإن غاصت في اللحم ولم تجدها فاحمل على الموضع الكي بالنار حتى تحرقها)) [3] .

---

[1] – الزهراوي ، أبو القاسم خلف : التصريف لمن عجز عن التأليف مع الترجمة الإنكليزية – نشر معهد ويلكم ، لندن 1973 ، ص 294 .

[2] – اعتقد أنهم يعنون بهذا المرض الذي يتسبب عن دودة (Loa - Loa) .

[3] – الزهراوي : التصريف (مصدر سابق) ص 605 .

الفصل الخامس
الوقاية من الأمراض الوبائية بالتطعيم

العرب عرفوا أسس علم الحصانة ضد الأمراض [1]:

إن فضل الأطباء العرب لم يقتصر في تحديد معالم مرض الجدري فحسب بل تعداه إلى أبعد من ذلك ، وهو معرفتهم لفكرة الحصانة ضد الأمراض ، فقد جاءت إشارات لدى البعض منهم حول ذلك ، وكان البلدي [2] من أوائل من ذكر بأن المصاب بالجدري والحصبة والحميقاء (الجدري الكاذب) مرة لا يصاب بها مرة أخرى [3]. وكذلك أشار ابن رشد [4] إلى أنه لا يمكن الإصابة بالجدري مرتين يقول ريسلر : ((وإذا كنا نقرر عدم الإصابة بالجدري مرتين فإنه يمكن أن نقرر أيضاً أن ابن رشد هو أول من كانت لديه الفكرة الأساسية لعلم الحصانة ضد الأمراض)) [5] وذلك يعني بأنه كان من الحقائق الثابتة لدى البلدي وابن رشد ومن جاء بعدهم من الأطباء العرب والمسلمين بأن الشخص الذي يصاب مرة بالجدري والحصبة والجدري الكاذب ويشفى منه يكون في أمان من الإصابة بها مرة أخرى إذ أن هذه الفكرة كانت القاعدة الأساسية التي اعتمدوا عليها لممارسة التلقيح ضد الجدري وهي نفس القاعدة التي اعتمد عليها مكتشف لقاح الجدري فيما بعد .

لقاح الجدري عند العرب : لقد مارس العرب التلقيح ضد الجدري بطريقتين فنيتين :

الطريقة الأولى : التي استعملها العرب هو بأنهم كانوا يحفظون قشور البثرة في عود قصب وبعد أن تجف هذه القشور تنفخ في منخار المراد تلقيحه وبذلك يكتسب الشخص

---

[1] – محمد، الدكتور محمود الحاج قاسم : مقالات في الطب وتاريخه ، مكتبة الصفا والمروة – حلب 2009 . ص 38 .

[2] –البلدي ، أحمد بن محمد بن يحيى : ولدفي بلد القريبة من الموصل ، توفي 380 هـ / 990 م .

[3] – البلدي ، أحمد بن محد بن يحيى : تدبير الحبالى والأطفال والصبيان ، تحقبق الدكتور محمود الحاج قاسم محمد ، دار الشؤون الثقافية ، الطبعة الثانية 1987 ، ص 323 .

[4] – ابن رشد ، القاضي أبو الوليد محمد : ولد في قرطبة سنة 1126 م وتوفي في مراكش سنة 1198 م من أكبر فلاسفة الإسلام . اشتغل بالتعاليم والطب .

[5] – جاك . س . ريسلر : كتاب الحضارة العربية – ترجمة غنيم عبدون ، ص 208 .

المناعة المطلوبة بعد إصابة خفيفة بالجدري [1] ومع أن هذه الطريقة خطرة لأنها قد تتمخض عن إصابة فعلية لكون البثرة حية لا ميتة إلاّ أنها تدل على محاولاتهم لإيجاد طريقة للوقاية من هذا المرض وتدل على معرفتهم لفكرة الحصانة ضد الأمراض آنفة الذكر .

الطريقة الثانية : كان التلقيح يتم عن طريق فتح جرح في الجزء البض من اليدين – الإبهام والسبابة – وكان الجرح يدلك مفتوحاً بمساعدة حجرة أو حجرتين جدريتين [2] .

وإن هذه الطريقة بقيت مستعملة لوقت متأخر في قسم من البلاد العربية يقول عبد الله بن العباس الجراري : ((فهذه تلقيح الجدري كان معروفاً بالمغرب سهله وجبله قبل أن ينتشر على يد أطباء الإنكليز)) ... ((وكيفية هذا التلقيح أنه عندما يعدو الجدري يؤخذ قيح الجدرة منه برأس ممدة كإبرة أو قشرة الحلزون ويلقح به)) [3] .

انتقال الطريقة العربية للتلقيح ضد الجدري إلى أوربا :

لقد مارس الأتراك أيام الدولة العثمانية الطريقة آنفة الذكر في التلقيح ضد الجدري والتي أخذوها عن العرب إلاّ أنهم استعملوا الذراع بدل اليد للتلقيح كما أن (سركا سيمنس) في عام 1674 م بدأ في القسطنطينية طريقته الخاصة في التلقيح والتي تتلخص في تلقيح الأصحاء بمحتويات البثرة الجدرية قبل أن يظهر فيها الصديد [4] .

يروى بأنه كان في العاصمة التركية استنبول في القرن الثامن عشر امرأتان كبيرتان تمارسان تحصين الناس ضد الجدري وذلك بإعطاء الأصحاء المرض خفيفاً بحك جلد ذراعهم بالقيح المأخوذ من بثور المرضى وهي متقيحة . وأطلعت على ذلك زوجة السفير البريطاني في العاصمة التركية وأعجبتها النتائج الحاصلة وتعلمت منها كيف تصنعان . وعادت إلى إنكلترا في عام 1718 م وهي متحمسة للطريقة الجديدة التي تقي الداء وقد جربت هذه الطريقة لأول مرة في إنكلترا في ستة مجرمين محكوم عليهم بالإعدام فنجحت التجربة وأطلق سراحهم مكافأة لهم على تطوعهم . كما وأن زوجة السفير المذكور وفي العام 1721 م طعمت بالقيح ابنها أمام أطباء

---

[1] – الجادرجي ، يوسف : طبيب الطفل – ص 296 .

[2] – جاك . س . ريسلر : الحضارة العربية ، ص 196 .

[3] – الجراري ، عبد الله بن العباس : كتاب تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوربا – دار الفكرالغربي 1861 ، ص 58 .

[4] – الديواني ، الدكتور مصطفى:حديث في الطب ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر–1969 ص 197 .

القصر الملكي فكان لهذا الحادث رجة في البلاد [1]. ولكن رغم كل هذا النجاح لم تعمم لدرجة يستفيد منها العام والخاص .

إدوارد جنر [2] E . Jenner مكتشف الطريقة الأمينة للتلقيح ضد الجدري :

تبدأ القصة مع جنر عندما جاءته إمرأة في نحو عام 1770 م وهو لا يزال يتتلمذ الطب في بلدة باركلي الصغيرة تستشيره في أمر لها . وسألها : هل سبق لك أن مرضت بمرض تذكرينه . قالت : نعم مرضت أصابني جدري البقر وهذا شيء قد ارتحت له لأنه يقيني من الإصابة بجدري الإنسان [3] كما لاحظ أيضاً أثناء عمله في الأرياف كطبيب أن أشخاصاً آخرين اكتسبوا المناعة ضد الجدري البشري بعد إصابتهم بعدوى جدري البقر . لذلك قام جنر بدراسة جدري البقر واتضح له أنه نوعان نوع منهما هو الأشبه بجدري الإنسان .

وبعد ذلك يمكننا تلخيص الملاحظات والأفكار التي اجتمعت لدى جنر قبل قيامه بالتجربة الأولى للتلقيح:

1 . كانت قصة زوجة السفير البريطاني ونقلها لفكرة التلقيح من الشرق العربي الإسلامي معروفة لدى الأطباء الإنكليز ولابد أن يكون جنر قد سمع القصة وتحمس لها .

2 . الأبقار تصاب بنوع من الجدري قريب للجدري البشري وينقل عدواه إلى حالبات البقر المصابة بالمرض وقلما تحدث حالة إصابة بالجدري الذي يصيب الإنسان بين حالبات البقر. الحقيقة القائلة (بأن الشخص الذي يصاب مرة بالجدري ويشفى منه يكون في أمان من الإصابة به مرة أخرى) والتي كانت معروفة عند الأطباء العرب في العصور الوسطى لاحظها جنر أيضاً.

3 . الإصابة بجدري البقر الحميد العاقبة يحول دون الإصابة بالجدري الذي يصيب الإنسان .

وبعد أن وضع جنر هذه الحقائق موضع الاعتبار قام بإجراء تجاربه التي بدأ يجريها عملياً في 14 مايس 1796 م [4] :

---

[1] – مجلة العربي : العدد 85 ، كانون الأول 1965 ، ص 95 .

[2] – جنر ، إدوار: طبيب إنكليزي عمل في الأرياف ولد عام 1749 م في باركلي بمقاطعة جلوسشتر شاير .

[3] – مجلة العربي: المصدر نفسه .

[4] – المصراوي ، محمد درويش : دور العلم في الصحة والمرض ، ص 267 .

أ . أخذ صبياً لم تسبق له الإصابة بالجدري إلى مزرعة بها بقرة مصابة بجدري البقر . وهناك خدش الصبي ووضع على مكان الخدش المادة الصلبة أو الليمفاوية من أحد بثرات البقرة المصابة فلاحظ أن هذا الصبي ظهرت عليه حالة معتدلة من المرض حيث تكونت بثرة موضعية التأمت بسرعة تاركة وراءها ندبة مميزة .

ب . أخذ جنر هذا الصبي معه أكثر من مرة عند زيارته لمرضاه المصابين بالجدري فلم ينقل إليه المرض ولوحظ أن الصبي اكتسب مناعة ضد الإصابة بمرض الجدري الإنساني حتى أثناء انتشار الوباء .

ج . وبعد أن مضى شهران ولم يصاب الطفل تشجع جنر وخدش جلد الصبي نفسه ووضع على الخدش بعض محتويات بثرة في جسم شخص مصاب بالجدري وانتظر عدة أيام دون أن يلاحظ إصابة الصبي بالمرض .

د . وبعد أن نجحت التجربة الكبرى أخذ جنر في تحصين الكثيرين بلقاح جدري البقر فكانت النتائج طيبة . وفي سنة 1798 أعلن النتائج التي وصل إليها في رسالة رائعة تعتبر فتحاً في عالم الطب مع أن العالم الطبي في لندن حينذاك قابلها ببرود . وقامت الجماهير تعارض ورجال الدين من المسيحيين راحوا يقولون أن هذه مؤامرة مصنوعة في معارضة السنن الطبيعية التي سنها الله .

وقام بعد ذلك طبيبان عالمان لهما احترام في لندن بإعادة التجربة وبعد نجاحها أعلنوا في جمهور الأطباء صحة إدعاء جنر ورويداً رويداً خفت الضجة ضد جنر وانتشر لقاحه ودان المجد لطبيب القرية المتواضع وهو على أعتاب الخمسين .

وهكذا انتهت قصة اكتشاف لقاح الجدري هذا المرض الذي اكتشفه الطبيب العربي المسلم (الرازي) ووضع أساس فكرة التلقيح ضده الطبيبان العربيان (البلدي ، ابن رشد) . وكان كمال العقد على يد جنر الطبيب الإنكليزي الذي اكتشف الطريقة الأمينة للتحصين ضد هذا المرض الفتاك .

القسم الثاني
صحة البيئة والحفاظ على سلامتها
في الإسلام والتراث

شبكة
الألوكة

الفصل الأول
وسائل الإسلام في حماية البيئة ومنع تلوثها

جاء الإسلام بالعديد من التعاليم الصحية ، حيث احتوت آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ نصوصاً بعضها جاءت صريحة في وضع القواعد والشروط الصحية التي تتفق مع مفاهيم الطب الحديث ، إلى جانب نصوص لم يصرح بأنها تعاليم صحية صريحة لاشتمالها على جملة وجوه من الأدلة من الوجوه الشرعية ، الاّ أن التمعن بها وسبر أغوارها تدلل وتؤكد على قواعد تهم صحة الفرد والجماعة .

من هنا كان تعريف الناس بالجوانب الصحية التي جاءت في التعاليم الإسلامية يشكل ركناً هاماً في نشر الوعي الصحي السليم المبني على الإيمان ، ويساعد على تنمية السلوكيات الصحية الصحيحة التي تواجه المجتمع .

وقبل الدخول في التفاصيل لا بد من مقدمة تعريفية بالبيئة ، فنقول وبالله التوفيق :

حقيقة كون حفظ صحة البيئة فيه سلامة للمجتمع من الضرر ، جعل صحة البيئة فرعاً مهماً من فروع العلم الحديثة ، حيث أخذ ينمو كل يوم بما يضاف إليه من المعارف. والإسلام حث المسلم أن يجتنب كل ما هو ضار بصحة الإنسان ، وهذا المفهوم قابل للتطبيق بالنسبة لأي فعل من الأفعال المؤذية التي لم ترد في القرآن أو السنة .

والوصول بصحة المجتمع والبيئة إلى مستوى عال ، يعتمد على طبيعة التفاعلات بين المصادر الطبيعية واتجاه الأفراد وتصرفاتهم في بيئة معينة وعلى كفاءة السياسة البيئية . وصحة الإنسان وصالحه يجب أن يكونا محور الهدف ونتاج كل الأنشطة الإنسانية المتعلقة بالبيئة .

والأرض هي أثمن المصادر الطبيعية قاطبة (غابات ، مزارع ، محيطات ، بحار ، أنهار، جبال ، باطن الأرض) وهذه المصادر الطبيعية هي بيئته وهي دعائم الحياة للإنسان وتلوثها بأي صورة يؤثر في صالح الإنسان وأغلب مشاكل التلوث هي من صنعه.

لذا فإنه في حفظ صحة البيئة سلامة للمجتمع من الضرر وتطبيق لقاعدة إسلامية رئيسية وهي أن كل مسلم مسؤول عن سلامة جماعة المسلمين تطبيقاً للقاعدة التي وضعها الرسول ﷺ بأنها كالجسد الواحد ، وأن من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، يقول تعالى

((أدعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وأدعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين)) سورة الأعراف الآية (54- 56) وقال ﷻ أيضاً ((وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)) سورة البقرة الآية 205 . وهذه الحماية تلزم المسلم الاّ يكون مصدر ضرر للبيئة ، لذلك كله نجد لصحة البيئة مكانة خاصة في هدي المصطفى ﷺ ، ويمكن تلمس ذلك من خلال وصاياه في الاهتمام بهذه الأمور :

1- نظافة الطعام والشراب :

إن التعاليم المحمدية والتي جاءت قبل أربعة عشر قرناً بالنسبة لنظافة الطعام والشراب شملت الكثير من الحقائق العلمية والطبية الرائعة التي لم تُعرف الاّ في العصور المتأخرة من ذلك وصيته بتغطية إناء الطعام ووعاء الماء وعدم تركه معرضاً للأتربة والذباب والميكروبات يقول ﷺ : **((أوكئوا قربكم واذكروا اسم الله ، وغطوا آنيتكم واذكروا اسم الله))** رواه البخاري ومسلم .

ويقول أيضاً : **((غطوا الإناء وأوكئوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء الاّ نزل فيه من الوباء))** رواه مسلم .

وقال (ص) : **((خمّروا (غطوا) الطعام والشراب))** رواه البخاري عن جابر .

ومن التأكيدات الأخرى التي اهتم بها الرسول (ص) لمنع تلوث المياه قوله (ص) : **إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في القدح ولكن ليبين أي يبعد الإناء من فيه)) .**

وروى البخاري في حديثه عن ابن عباس : **((إن رسول الله (ص) نهى عن الشرب من في السقاء))** متفق عليه .

كل ذلك وقاية للسليم من انتقال الكثير من الأمراض إليه من الشخص المريض عن طريق اللعاب والشفتين .

واشترط الإسلام بالنسبة للماء والحليب وأنواع الشراب عدم تغير طعمه ولونه ورائحته وإذا تخمر الشراب أصبح في نظر الشرع نجساً لا يجوز شربه .

2- نظافة مصادر المياه :

شدد ﷺ على عدم تلوث مصادر المياه (الترع والأنهار والآبار) بالقاذورات كالبول والبراز . عن معاذ بن جبل ﷺ قال : قال رسول الله (ص) : ((**اتقوا الملاعن الثلاث – البراز في الموارد** (أي محل ورود الماء) **وقارعة الطريق والظل**)) [1] . رواه أبو داؤد وابن ماجة .

وقال : ((**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل به**)) رواه مسلم .

وعن جابر (رض) : ((**أن النبي ﷺ نهى أن يبتال في الماء الراكد**)) رواه أحمد والنسائي ومسلم .

وعن ابن ماجة : ((**أن النبي (ص) نهى أن يبتال في الماء الجاري**)) .

واستناداً إلى هذه الأقوال اعتبر الفقهاء أن الماء الذي أصابه البول نجساً ولا يجوز الوضوء منه أو الاستحمام فيه وشربه .

ومن الثابت علمياً اليوم بأن الكثير من الأمراض المعدية والطفيليات والديدان كالبلهارزيا يمكن أن تنتقل إلى الماء عن طريق البول في الماء (خاصة المياه الراكدة) ومن ثم إلى الأشخاص السليمين .

3- نظافة المساجد والمساكن والطرقات :

نظافة المساكن والطرقات نالت اهتماماً خاصاً من لدن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ففي مسند البزار عن النبي (ص) أنه قال : ((**إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ... فنظفوا افناءكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكباء (الزبالة) في دورهم**)) .ومعروف ما للقمامة وتراكمها في البيوت من أضرار على الصحة لكونها بؤرة لتكاثر الحشرات والذباب والصراصير والبعوض والمكروبات والطفيليات والفطريات التي هي أسباب أغلب الأمراض .

وحث (ص) المسلمين على نظافة الطريق في أحاديث كثيرة منها :

قال (ص) : ((**من سمى الله ورفع حجراً أو شجراً أو عظماً من طريق الناس مشى وقد زحزح نفسه من النار**)) .وقوله (ص) : ((**أن تميط الأذى عن طريق الناس لك صدقة**)) .

وأخيراً اعتبار إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان ومعنى الأذى في هذه الأحاديث هو ما قد يضر أو يلوث الطريق من القاذورات أو ما يؤذي المارة كقطع الزجاج وغيرها .

---

[1] – الموارد = أمكنة ورود الناس .قارعة الطريق = وسطه . والظل = المتخذ مقبلاً ينزله الناس .

وكما ذكرنا فقد حذر (ص) في حديث الملاعن السابق بشدة من التبرز أو التبول في الطرق العامة . وقال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : **((من غسل سخيمته على طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))** . رواه الطبراني والبيهقي . والسخيمة تعني الغائط .

((والعلم الحديث يقول : إن الغرام الواحد من براز الإنسان فيه اكثر من مائة ألف مليون جرثومة . وله دور كبير في نشر الأوبئة إن ترك هنا وهناك))[1] .

ويقول (ص) أيضاً **((من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم))** .

ومن الروائع التي جاء بها (ص) منعه البصاق على الأرض فعن أنس عن النبي (ص) أنه قال : **((البصاق على الأرض في المسجد خطيئة وكفارتها ردمها))** . رواه البخاري ومسلم .

ورغم أن الحديث ذكر أرض المسجد الاّ أنه يشمل عامة طريق المسلمين .

والحكمة العلمية وراء ردم البصاق أن يدفن في الأرض فلا تنقله الريح كما أن المكروبات لا تعيش طويلاً في التراب الجاف .

4- سلامة الهواء من الغبار:

أوصى (ص) بتجنب الغبار فقال : **((تنكبوا الغبار فإن منه تكون النسمة))** وللنسمة معاني ذكرها اللغويون منها الشيء الحي صغر أو كبر . ومعنى الحديث يأتي أن تتجنبوا الغبار فإن بسبب وجوده في الهواء فيه كائنات حية صغيرة لا يمكن للعين أن تستبينها تسبب أضراراً لكم فمعروف أن ذرات الغبار تحمل الجراثيم مسببات الأمراض .

أما إذا أخذنا معانيها اللغوية الأخرى وهو (الربو)[2] كما فسرها البعض فإن هذا الحديث يبين لنا وجهاً آخر من أنواع الخطر يجب أن نتفاداه حيث الغبار الحاوي أتربة عضوية يكون مسبباً لمجموعة من الأمراض التحسيسة منها مرض الربو . والحاوي على أتربة معدنية يكون سبباً لبعض أمراض الجهاز التنفسي وأنواع التسمم بتلك المعادن لدى عمال المناجم التي يظهر في أجواءها الهواء الملوث بغبار تلك المعادن .

وبذلك يقدم لنا الرسول ﷺ نصيحة لم يُلتَفت إليها الاّ قبل سنوات وبجهود مضنية من الباحثين والعلماء .

---

[1] – القضاة ، الدكتور عبد الحميد: تفوق الطب الوقائي في الإسلام ص 14.

[2] – جاء في لسان العرب المحيط لابن منظور (ج 3 ص 692) : ((والنسم = جمع نسمة وهو النفس والربو)) ويقول ((النسمة هاهنا – يقصد الحديث – الربو)) .

5-منع اقتناء الكلاب إلا للضرورة :

لقد شدد الرسول (ص) في السماح باقتناء الكلاب إلا لضرورة فقال : **((من اتخذ كلباً الاّ كلب ماشية أو صيد أو زرع .. انتقص من أجره كل يوم قيراط))** رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

كما شدد ﷺ في تطهير ما تلوث بالكلاب فقال : **((طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب))** رواه مسلم والبيهقي . وقد ثبت علمياً يأن الكلاب تنقل أمراضاً كثيرة منها الكيسة المائية التي من المحتمل أن ينزل مع لعاب الكلاب بعض البيوض للدودة الشريطية التي تسبب هذا المرض [1] (والتي لم يكتشف لحد الآن علاجاً ناجعاً لها) وإذا ما استخدم الإنسان هذه الأطباق قبل أن يحسن غسلها فإن الشخص قد يتناول مع طعامه بيض الدودة الشريطية العالقة بها والغسل الصحيح هو سبع مرات أولها بالتراب كما ذكر الرسول ﷺ.

6 - قتل الحيوانات والحشرات الضارة بالإنسان :

لقد أمر ﷺ بقتل الحشرات الضارة بالإنسان . عن أم شريك أن الرسول الكريم (ص) أمرها بقتل الأوزاغ ، وعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله (ص) : **((من قتل وزغاً** [2](ابو بريص) **في أول ضربة كتب الله له مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك))** رواه مسلم .وعن عائشة (رَض) قالت أمر رسول الله ﷺ بقتل خمس فواسق في الحل والحرم ، الفأر ، والعقرب ، والغراب ، والحدأة ، والكلب العقور)) رواه البخاري ج2 ص 286 .

---

[1] – البنا ، د . عائدة عبد العظيم : الإسلام والتربية الصحية – الطبعة الأولى 1984 ، ص 153 ، نقلاً عن : كتاب الطفيليات الحيوانية في الإنسان ص 130 لـ Lapage , Geoffrey

[2] – الوزغ = سام أبرص = أبو بريص = بريص = جنس من الزواحف .

7 – الإسراع والإتقان في دفن الميت :

لا شك بأن الإسراع في ذلك فيه جانب وقائي كبير ، لأن تأخر الدفن قد يؤدي إلى تفسخ الجثة وانتشار الجراثيم وتلوث البيئة .

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : **((أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن أعناقكم))** رواه الستة .

وفي حديث آخر رواه أبو داؤد وسكت عنه ، عن الحصين بن وحوح أن طلحة بن البراء مرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال**((إني لا أرى طلحة الاّ قد حدث فيه الموت فأذنوني(أي أعلموني) به وعجلوا، فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهري أهله))** .

وزيادة في الحيطة والحذر من انتشار الأمراض من الموتى خاصة المصابين بأمراض معدية توجب الغسل على من يقوم بغسله على رأي بعض الفقهاء وقال آخرون بأنه يستحب ذلك لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : **((من غسل ميتاً فليغتسل ، ومن حمله فليتوضأ))** رواه ابن ماجة .

ومن تعاليمه ﷺ دفن الميت في اللحد إذ يقول : **((اللحد لنا والشق لغيرنا))** رواه أحمد عن جرير . ولاشك بأن هذا النوع من الدفن حفظ لسؤة الميت من عبث الحيوانات وحفظ للبيئة من التلوث .

((وهكذا لم يترك الإسلام صغيرة ولا كبيرة في نظافة البيئة وصحتها الاّ طرقها ، وأكد عليها ، ولو طبقنا قواعد الإسلام لكانت البيئة الإسلامية أطهر وأنظف بيئة في الوجود ولأصبح مظهر المسلمين أنظف وأطهر مظهر بين الأمم ، وصدق رسول الله (ص) إذ يقول في وصف أصحابه : **((أحسنوا رداءكم وأصلحوا أركابكم ... حتى تكونوا شامة في الناس))** وهذه علامات البيئة الصحية الإسلامية ، إنسان نظيف ومسكن نظيف وطعام نظيف وشراب نظيف .. في مدن مرتبة نظيفة)) [1] .

بعد هذا نقول بأنه هناك مسألة لا بأس من ذكرها لعلاقتها بموضوعنا وهي:

[1] – الفنجري : الطب الوقائي في الإسلام ص 31 .

التعاليم الوقائية عند حدوث الأوبئة :وتشمل

1- العزل :

من إرشاداته ﷺ عند إصابة أحد بمرض معد هو عزله عن الأصحاء وعدم اختلاطه بهم لكي لا تنتشر العدوى لغيره ويبتلي الآخرون بمرضه وأن يراعي الله في ذلك حتى يشفيه الله يقول ﷺ : **((لا يورد ممرض على مصح))** أخرجه البخاري ومسلم . وفي رواية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

((لا توردوا الممرض على المصح)) جواهر البخاري – شرح القسطلاني . أي لا يدخل المريض على الأصحاء لكي لا ينتقل المرض إليهم .

ولا يكتفي (ص) بمنع المريض من الاختلاط بالأصحاء وإنما يأمر الأصحاء أيضاً بعدم الاختلاط بالمريض المصاب بمرض معد حتى يصبح غير ناقل للمرض إليهم فيقول (ص) : **((إن من القرف التلف))** أخرجه داؤد . والقرف هو مقارفة المريض أي ملامسته والاحتكاك به والتلف هو الهلاك أي ... العدوى [1] ومما يروى عنه (ص) أنه جاء إليه وفد من البادية لكي يبايعونه وبينهم رجل مصاب بالجذام فرفض الرسول (ص) أن يدخل المجذوم في مجلسه أو يبايعه باليد وأرسل إليه من يقول له **((أبلغوه إنّا قد بايعناه فليرجع))** .

ومن أقواله (ص) **((كلم المجذوم وبينك وبينه قدررمح أو رمحين))** .

إن تحديد المسافة بين الصحيح والمريض إلى أكثر من الرمح خشية العدوى هي نفس المسافة التي نشترطها اليوم بين أسّرة المرضى في المستشفيات واليوم نفس المسافة التي ينصح بها بالنسبة للوقاية من الكورونا وغيرها من الاوبئة .

وقد روى أبو نعيم في كتابه ((الطب النبوي)) ((أن النبي ﷺ كان إذا رمدت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ)) [2] .

2- الحجر الصحي

لقد وضع الرسول (ص) أساس الحجر الصحي وذلك بنهيه أهل مكان وقع فيه مرض وبائي من الخروج ومنع من هم خارجه من الدخول إليه .

فقال (ص) : **((إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع و أنتم فيها فلا تخرجوا منها))** أخرجه البخاري ومسلم .

---

[1] – الفنجري : الطب الوقائي في الإسلام ص 36 .

[2] – الجميلي ، الدكتور السيد : إعجاز الطب النبوي – دار أسامة دمشق ص 51 .

وأخرج أحمد عن عائشة ﷺ قالت : **((يا رسول الله فما الطاعون ؟ قال غدة كغدة الإبل ، المقيم فيها كالشهيد ، والفار منها كالفار من الزحف))** .

وعندما خرج عمر (رض) إلى الشام وكان بسرع (قرية في طرف الشام أخبر بأن الطاعون قد انتشر فيها .

توقف عمر ولم يدخل إلى المدينة الموبوءة وبعد أن استشار المهاجرين والأنصار من المتواجدين هناك نادى في الناس ، ((إني مصبح على ظهر فأصبحوا)) أي إني مسافر غداً فاستعدوا للسفر . فقال أبو عبيدة بن الجراح (رض) أ فراراً من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله أ رأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله .

ثم جاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال إن عندي من هذا علماً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : **((إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض و أنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه))** .

ومفهوم الحجر الصحي مفهوم حديث لم تعرفه البشرية الاّ في أواخر القرن التاسع عشر ، ومنع السليم من الدخول إلى أرض موبوءة حفاظاً عليه من الإصابة أمر منطقي ، الاّ أن منع الأشخاص السليمين من منطقة الوباء من الخروج والفرار من المرض أمر صعب الفهم بدون معرفة دقيقة بالطب ، حيث أن العقل والمنطق يشير إلى ضرورة الفرار من الوباء للخلاص من العدوى ولكن الطب الحديث يؤكد على أن الشخص السليم والموجود في منطقة الوباء يكون حاملاً للمكروب دون أن تظهر عليه علامات المرض أو يكون المكروب لديه لا زال في دور الحضانة وبذلك يمكن أن يكون سبباً لنقل المرض إلى غيره من الأصحاء ولذا جاء منع الرسول (ص) أهل البلدة المصابة بالوباء من أن ينتقلوا منها تشريعاً رائعاً ... ومعجزة علمية ظهرت حقيقتها اليوم بعد مضي أربعة عشر قرناً من الزمان وكما جاء المنع شديداً والوعيد مرعباً مخيفاً في قوله (ص) :

((والفار من الطاعون كالفار من الزحف ...)) جاء الوعيد مرعباً وحاثاً أشد الحث على الإقامة والصبر في قوله (ص) **((والمقيم فيه كالشهيد))** **((والصابر فيه كالصابر في الزحف)) ((والمطعون شهيد))**[1].

[1] – البار : العدوى بين الطب وحديث المصطفى ص 74 .

وأخيراً وليس آخراً نقول أن هذه التعاليم التي جاءت في أحاديث المصطفى (ص) حول الحجر الصحي لا تختلف عن أحدث التعاليم العلمية في وقتنا الحاضر والمتتبع لقواعد دوائر الصحة الوقائية في أي بلد في حالة انتشار وباء معدي (كالكوليرا والجدري مثلاً) يضرب حول ذلك البلد نطاق عازل محكم ويمنع الناس من الدخول إليها مهما كانت الأسباب عدا رجال الصحة وفي نفس الوقت يمنع خروج أي شخص أو غذاء وحتى سيارة خارج ذلك البلد .

وفي الختام نقول هكذا وضع الإسلام الخطوط العامة لمجتمع صحي وبيئة صحية ولم يكن من المستطاع آنذاك تفصيل الأمر أكثر من ذلك ، إذ أن الناس كانوا يحيون في ذلك الزمان حياة بسيطة لا تعقيد فيها .

ولما كان الإسلام يقدر قيمة الصالح العام للإنسان فإنه حث المؤمنين إلى اليقين بأن الكون ملك لله عز وجل ، وأنه قد خلق من أجل صالح الإنسان . وعلى الإنسان أن يحسن استخدام نعمة الله التي أنعم بها عليه يتمتع بجمال بيئته ويبعد عنها كل ما يلوثها لتبقى هذه النعمة له وللأجيال المقبلة من بعده سليمة من كل ما يشوبها من أدران إن شاء الله .

شبكة
الألوكة

الفصل الثاني
صحة البيئة وأسباب تلوثها في التراث العربي الإسلامي

إن الطب الوقائي اليوم ينطلق من العمل على حفظ توازن الأفراد - بوصفهم أعضاء نافعين في المجتمع – مع البيئة المحيطة بهم[1] ، فبمقدار ما تتهيأ أسباب هذا الحفظ تكون ترقية الصحة ، والوقاية من المرض ، ويعد النظام البيئي المصدر الأساس للحياة . وتعرف الصحة البيئية بأنها حالة توافر الموطن البيئي السليم والمستقر لنوع من الكائنات الحية، وعلى رأسها الإنسان ، بحيث يستطيع أن يعيش حياته بشكل سليم ، وأن يحافظ على بيئة سليمة [2]

وتتعلق صحة الإنسان بعوامل داخلية ترجع إلى بدنه ، وبعوامل خارجية ترجع إلى عناصر البيئة العامة (الطبيعية والبشرية والحضارية) وربما تبادر إلى الأذهان أن علم صحة البيئة من مفرزات الحياة المدنية الحديثة ، غير أن ما وجد في هذا الباب في كتب التراث الطبي يشير إلى معرفة الأطباء العرب والمسلمين بالعلاقة بين صحة الإنسان العامة والأحوال البيئية الطبيعية التي تحيط به ، من الهواء الذي يستنشقه ، والماء الذي يشربه ، والمسكن الذي يقطنه ، والأغذية التي يتناولها ، والمحيط البشري الذي يعيش فيه [3].

وعلى الرغم من عدم معرفة الأطباء العرب والمسلمين لعلم الجراثيم إلاّ أن كتاباتهم عن أسباب الأمراض وانتقالها وإشاراتهم لمسألة تلوث البيئة والسكن الصحي تدل على باع طويل في دقة الملاحظة والتجربة والفهم الصحيح ويمكن لأي باحث منصف التحقق مما نقول باستقراء النصوص التي وردت عنهم عند تناولهم لأسباب الأمراض وأسباب تلوث البيئة والحفاظ على سلامتها والتي هي :

---

[1] – حلاج ، زهير : الصحة العامة ، اللاذقية – جامعة تشرين ، ط1 ، 1981 ، ص 11

[2] – محاسنة ، علي إحسان : البيئة والصحة العامة ، الأردن – جامعة مؤتة ، 1997 ، ص 68.

[3] – البلخي ، أبي زيد أحمد بن سهل : مصالح الأبدان ، تحقيق ودراسة د. محمود المصري ، منظمة الصحة العالمية – المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ، القاهرة 2005 ، ص 135 .

1 – فساد الهواء :

يعزي علي ابن العباس المجوّسي (كان حياً قبل سنة 384 هـ / 994 م) حدوث وانتشار الأوبئة إلى تبدلات الجو وفساد الهواء بالعفونات يقول : ((فأما خروج الهواء عن الاعتدال في جملة جوهره ، فهو أن يستحيل في جوهره وفي كيفياته إلى الفساد والعفن ، فيحدث في الناس أمراضاً وأعراضاً رديئة ... وتسمى هذه الأمراض ، بالوافدة وإنما سميت أمراض زمان واحد، وذلك لأن السبب المحدث لها عامل مشترك وهو الهواء المحيط بنا)) .

((وأما تغير جوهر الهواء من قبل الموضع فيكون إما من بخارات تحدث من كثرة الثمار والبقول إذا عفنت فيرتفع منها بخارات رديئة تخالط الهواء أو من بخارات ترتفع من الخنادق أو من البحيرات من الآجام أو من أقذار المدن ، وأما من حيث القتلى والموتى تكون في البلد أو بالقرب منه إما حرب يقتل فيه كثير من الناس أو موت البهائم ، ثم إذا حدث فيهم الوباء فيرتفع من تلك الجيف بخارات رديئة فتخالط الهواء فيستحيل الهواء إلى جوهر البخار وكيفيته فيستنشقه الناس فتكثر فيهم الأمراض الرديئة المهلكة كالموت الذي عرض لأهل أثينا)) [1].

ويعرّف ابن سينا (371 – 428 هـ / 980 – 1037 م) الهواء الجيد فيقول : ((الهواء الجيد الجوهر هو الهواء الذي ليس يخالطه من الأبخرة والأدخنة شيء غريب ، وهو مكشوف للسماء غير محقون الجدران والسقوف)) [2].

ويذكر ابن رضوان (ت 460 هـ / 1067 م) بأن فساد الهواء هو أحد أسباب حدوث الأمراض الوافدة (الأوبئة) فيقول : ((والهواء تتغير كيفيته على ضربين ، أحدهما تغيره الذي جرت به العادة ، وهذا لا يحدث مرضاً وافداً ولست أسميه تغيراً ممرضاً ، والثاني تغيره الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد ، وكذلك الحال في الباقية فإنها إما أن تتغير على العادة فلا يحدث مرضاً ، وأما أن يكون تغيرها تغيراً خارجاً عن العادة فيحدث

---

[1] – المجوّسي ، علي بن العباس : كامل الصناعة الطبية – المطبعة الكبرى بالديار المصرية ، 1294 هـ ، ج1 ، ص 168 – 169 .

[2] – ابن سينا ، أبو علي الحسين : القانون في الطب – طبعة بالأوفست مكتبة المثنى ، بغداد (بدون تاريخ) ج 1 ن ص 84 .

المرض الوافد وخروج تغير الهواء عن عادته يكون إما أن يسخن أكثر أو يبرد أكثر أو يرطب أو يجف أو يخالطه حال عفنية ، والحال العفنية إما أن تكون قريبة وإما بعيدة)) [1].

وللإمام الغزالي قول جدير بالذكر عن حقيقة حامل المكروب وفترة الحضانة ، يقول : ((إن الهواء في البلدة المصابة بالوباء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل إلى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر إلاّ بعد التأثير في الباطن فالخارج من البلد يقع به الوباء لا يخلصن غالباً مما استحكم به)) [2].

وإبراهيم عبد الرحمن الأزرق (كان حياً 518 هـ / 1412 م) في كتابه (تسهيل المنافع) قولاً صريحاً في ذكر وتحديد الأمراض المعدية نتيجة تلوث الهواء حيث يقول :

((وينبغي للإنسان اجتناب الأمراض المعدية بواسطة الهواء إلى مجالسة أصحابها كالجذام ... والرمد والسل فليحذر القرب من أصحابها وليتباعد عنهم إلى فوق الرمح إلى ما بعد)) [3].

وهنا لا يفوتنا الإشارة إلى أنه منذ بدايات عصر النهضة العلمية عند العرب والمسلمين بدأت تظهر مؤلفات تهتم بمكافحة التلوث وصحة البيئة . ومن ذلك مقالتان الفهما الكندي (ت256هـ/ 870م) إحداهما بعنوان " رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء " ، والأخرى بعنوان "رسالة في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية "[4].

ويربط محمد بن أحمد التميمي (من رجال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي) في كتابه مادة البقاء فساد الهواء بعدة عوامل هي :

(1-الإنقلابات الفصلية التي يحدث تغيرات شديدة في الحرارة والرطوبة 2- وجود الأنهار الكثيرة الموجودة بمجاورة المدينة ، وكذلك وجود المستنقعات وتجمعات المياه غير النقية ،

---

[1] – ابن رضوان ، علي : رسالة في الحيلة في دفع مضار الأبدان بأرض مصر – تحقيق د . رمزية الأطرقجي مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد 1988 ، ص 46 .

[2] – البار ، الدكتور محمد علي : العدوى بين الطب وحديث المصطفى – الطبعة الأولى ، دار الشرق ، جدة ، ص 76 .

[3] – الأزرق ، إبراهيم عبد الرحمن : تسهيل المنافع في الطب والحكمة – ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد الحنفي ، مصر (بدون تاريخ) ، ص 180 .

[4] – ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أحمد : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الفكر – بيروت 1956 ، ج 3 ، ص 186 .

فهذه تؤدي إلى تصاعد أبخرة فاسدة تفسد الهواء . 3- وجود الأزبال ومجاري المياه المستعملة وجيف الحيوانات الميتة في طرقات المدينة وساحاتها وهو ما يؤدي إلى إطلاق أبخرة ملوثة للهواء .

4- مجاورة المدينة لشواطيء البحار مع مرور الأنهار التي يحدث فيها فيضانات داخل المدينة

وذلك لما يتصاعد إلى الجو من أبخرة المياه الجارية والراكدة حولها . لأن ذلك الفساد يولد تصاعد الأبخرة الرطبة عن المياه الكدرة .

5- وهو يرى أن فساد الهواء يمكن أن ينتج عن الأبخرة المتصعدة من التربة عند شدة الحر) [1].

2 – العدوى المباشرة من المريض :

لقد جاءت أقوال الرازي (251 – 314 هـ / 865 – 927 م) مؤكدة هذه الحقيقة حيث يقول : ((ومما يعدي الجذام والجرب والحمى الوبائية (التيفوئيد) والسل .... إذا جلس مع أصحابها في البيوت الضيقة وعلى الريح ، والرمد ربما أعدي بالنظر إليه ، والقروح الكثيرة الرديئة ربما أعدت بالجملة كل علة لها نتن وريح فليتباعد عن صاحبها)) [2].

وجاء التأكيد الواضح والجلي حول ذلك في أقوال ابن الخطيب وابن خاتمة عند التحدث عن وباء الطاعون يقول ماكس مايرهوف : فوصف المؤرخ والطبيب ابن الخطيب الغرناطي (1313 – 1374) عدوى الطاعون في غرناطة سنة 749هـ في رسالته الشهيرة (مقنعة السائل في المرض الهائل) نذكر منها هذه الفقرة ((وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة وهذه مواد البرهان ... و ... وقوع المرض في الدار أو المحلة فالثوب والآنية حتى القرط أتلف من علق بإذنه وأباد البيت بأسره ووقوعه في المدينة في الدار الواحدة ثم اشتعاله منها في أفراد المباشرين ، ثم جيرانهم وأقاربهم وزوارهم خاصة حتى يتسع الخرق)) [3].

---

[1] – التميمي : مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء (مصدر سابق) ص51–52.

[2] – الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا : المنصوري في الطب – تحقق الدكتور حازم البكري الصديقي ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، 1987 ، ص 225 .

[3] – أرنولد ، توماس : تراث الإسلام – ترجمة جرجيس فتح الله ، دار الطليعة ، بيروت ، ط2 ، 1972 ص 487 – 488

وكتب أبو جعفر أحمد بن خاتمة المراكشي المتوفى سنة (771 هـ / 1369 م) في كتابه (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) وثبت فيه بداية انتشار الطاعون في السواحل الأندلسية 745 هـ / 1347م وأنه شهد انتشاره في مسقط رأسه المرية وأشار في كتابه إلى المسائل التي تتعلق باستعداد أناس للإصابة بعدوى الطاعون ومناعة آخرين ، وتكلم عن انتقال المرض من المصاب إلى السليم من طريق الملابس والفرش الملامسة ، يقول ((وجدت بعد طول المعاناة أن المرء إذا لامس مريضاً أصابه الداء ظهرت عليه العلامات)) .

كما حذر من أكل لحوم الماشية التي وقع فيها الموتان – أي الوباء – وذلك من باب الوقاية والتحفظ .

3 – تلوث المياه والمياه الصالحة للشرب :

لقد أكد ابن رضوان على أن مياه النيل تتلوث نتيجة وقوفه عن الحركة لاحتقان الماء فيه وعند الفيضان حيث يجلب العفونات والأوساخ من المستنقعات والمدن التي يمر منها لذلك يؤكد على ضرورة غليه وتصفيته قبل شربه ، كما أكد أيضاً أن مياه آبار القاهرة لا تصلح للشرب لأنها تختلط بما يرشح فيها من عفونة المراحيض ، جاءت آراؤه هذه في رسالته (دفع مضار الأبدان بأرض مصر) ، نقتطف منها ما يلي : ((وقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة والرطوبة وأنه ذو أجزاء كثيرة وأن هواؤها وماؤها رديئان وأردأ ما يكون النيل بمصر عند فيضانه وعند وقوف حركته وعلى ذلك فينبغي أن يغلى الماء ويبالغ في تصفيته ... فرداءة ماء النيل ناتجة من وقوف حركته في زمن الصيف ومن حركة زيادته لأن يجلب معه الأقذار والعفونات ولذلك ينبغي أن يسقى النيل من المواضع التي فيها جريانه أشد والعفونة فيها أقل)) ((وأما الآبار فإن ماؤها لا يصلح للشرب منه لقرب مياه القاهرة وضواحيها من وجه الأرض مع سخافتها يوجب ضرورة أن يصل إليها بالرشح من عفونة المراحيض شيء ما ولأن بطائح الأرض تمتلئ متى صار ماء النيل في أيام فيضانه)) [1].

وإن رسالة ابن رضوان هذه المسماة (دفع مضار الأبدان بأرض مصر) محاولة رائدة فيما نسميه الآن بالطب الجغرافي أو الجغرافية الطبية . كما يمكن أيضاً اعتبارها بحثاً مبكراً في طب الأمراض المتوطنة .

---

[1] – الخطابي ، محمد العربي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية – دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1988 ج 2 ، ص 157 . بالأصل نقلاً : ابن خاتمة .

وجاءت إشارات عديدة لدى الأطباء العرب والمسلمين حول العلاقة بين المستنقعات وانتشار الأوبئة من ذلك قول الزهراوي في الحمى الوبائية : ((من أسباب إفراط الكيفيات على الهواء من بخارات المياه الراكدة المتعفنة وما يغلب على الهواء من روائح الجيف والقتلى ... وما شاكل ذلك ، فإذا تغير الهواء وفسد بأحد هذه الأسباب ، ولا سيما نتن الجيف والموتى فهو أعظم ضرراً فيعرض عند ذلك تغير لأكثر الناس أمراض خبيثة رديئة ... وتحدث هذه الحميات ... باستنشاق الهواء)) [1].

ويقول ابن زهر (464 – 557 هـ / 1072 – 1162 م) :

((وأما المياه فإنها إن كانت مياهاً راكدة تنتن وتكون عكرة بما تحتها من حمأ وأقذار ، فإنها قد يكون عنها ما ذكرته من الوباء بالحميات الدقية)) [2].

وعن كيفية الحصول على الماء الصالح أو استصلاحه يقول ابن رضوان :

((وينبغي أن ما يروق ويشرب ، وإن تصفيه بأن تجعله في آنية الخزف والفخار أو الجلود ، وتأخذ ما يصل منه بالرشح ، وإن شئت أسخنته بالنار وجعلته في هواء الليل حتى يروق ، ثم قطعت منه ما راق ، إذا ظهرت لك فيه كيفية رديئة محسوسة فأطبخه بالنار ثم برده)) [3].

وعلى رأي ابن سينا أن أفضل المياه ، مياه العيون الجارية والمتحدرة من مواضع عالية وكذلك ماء المطر ، ومن نصائحه لإصلاح الماء قوله : ((والتصعيد والتقطير مما يصلح المياه الرديئة فإن لم يكن ذلك فالطبخ)) .

((وأما مياه الآبار فرديئة وذلك لأن مياهها محتقنة مخالطة للأرضيات ... وأردؤها ما جعل لها مسالك في الرصاص فتأخذ من قوته وتوقع كثيراً من قروح الأمعاء)) . وهذه إشارة صريحة إلى حالات التسمم بالرصاص .

((والمياه الراكدة الأجية خصوصاً المكشوفة فرديئة)) ... ((والمياه الراكدة كيفما كانت غير موافقة للمعدة ... والمياه التي يخالطها جوهر معدني وما يجري مجراه والمياه العلقية فكلها أردأ ولكن في بعضها منافع)) [1].

---

[1] – الزهراوي ، أبو القاسم خلف : التصريف لمن عجز عن التأليف – نقلاً عن العربي الخطابي ، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، ص 157 ، بالأصل نقلاً : ابن خاتمة .

[2] – ابن زهر ، أبي مروان عبد الملك : التيسير في المداواة والتدبير – تحقيق د . ميشيل الخوري ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الطبعة الأولى 1983 ج 2 ، ص 422 .

[3] – ابن رضوان : رسالة في الحيلة في دفع مضار الأبدان (مصدر سابق) ، ص 24 ، 42 ، 74 .

4 – السكن غير الصحي وشروط السكن الصحي :

أفاض ابن سينا (370 – 428 هـ / 980 – 1037 م) الحديث عن شروط السكن الصالح فمن جملة ما يقول : ((ينبغي لمن يختار المساكن أن يعرف تربة الأرض وحالها في الارتفاع والانخفاض والانكشاف والاستتار ، وماؤها وجوهر ماؤها ... ويعرف رياحهم هل هي الصحيحة الباردة وما الذي يجاورها من البحار والبطائح والجبال والمعادن ويتعرف حال أهل البلد في الصحة والأمراض ... وجنس أغذيتهم ... ثم يجب أن يجعل الكوى والأبواب شرقية شمالية ويكون العمدة على تمكين الرياح الشرقية من مداخلة الأبنية وتمكين الشمس من الوصول إلى كل موضع فيها فإنها هي المصلحة للهواء ومجاورة المياه العذبة الكريمة الجارية النظيفة التي تبرد شتاءً وتسخن صيفاً خلافاً الكامنة أمر جيد منتفع به)) [2].

وأن ابن خلدون على الرغم من عدم كونه طبيباً إلاّ أنه أكد بأن الزحام والهرج هما سببين رئيسيين من أسباب سرعة انتقال الأمراض المعدية خصوصاً أمراض الرئة ويستعرض بإيجاز أسباب تلوث الهواء في المدن المزدحمة وأخطار ذلك على صحة الأفراد ويؤكد على ضرورة ترك الفراغات بين الأبنية للتهوية كطريقة للحيلولة دون تلوث الهواء أو للإقلال من التلوث يقول ابن خلدون : ((أما الموتان فلها أسباب كثيرة – المجاعات ، أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة وإذا فسد الهواء ، وهو غذاء الروح الحيواني وملامسة دائمة فيسري إلى مزاجه ، فإذا كان قوياً وقع المرض في الرئة ... وإن كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات وتمرض الأبدان وتهلك)) ثم يقول : ((إن تخلخل الهواء والقفر بين العمران ضروري لكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن .... ويأتي بالهواء الصحيح)) [3].

وينحو ابن رضوان نفس المنحى فيقول : ((أول شيء يحتاج إليه في هذا هو أن تكون المساكن والمجالس فسيحة لينحل منها من البخار المقدار الوافي ... ويدخل منها شعاع الشمس ، وينبغي أن تكون هذه المساكن والمجالس مرخمة أو مبلطة)) [4].

---

[1] – ابن سينا : القانون (مصدر سابق) ج 1 ، ص 93 .

[2] – ابن سينا : المصدر نفسه ، ص 98 – 101 .

[3] – ابن خلدون ، عبد الرحمن : المقدمة – دار الفكر (بدون تاريخ) ، ص 293 .

[4] – ابن رضوان : مصدر سابق – ص 66 .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

5 – الحيوانات والحشرات المسببة للأمراض :

جاء ذكر مرض داء الكلب لدى أغلب الأطباء العرب والمسلمين من أمثال علي بن العباس المجوّسي ، وابن سينا ، وابن النفيس ، والدميري وغيرهم ووصفوه قبل باستور[1] الذي أعلن أنه أول من اكتشفه ووصف اللقاح للتحصين منه ، ويتبين مما كتبه الأطباء العرب إلى معرفتهم بأن مرض داء الكلب من الأمراض المعدية التي تنتقل للإنسان عن طريق الكلاب وهذا جعل المسؤولين ينتبهوا إلى خطر الكلاب السائبة على البيئة والإنسان فمما يروى أن الإمام ابن سحنون قاضي القيروان (المتوفى سنة 240 هـ / 1854 م) أمر الشرطة بقتل الكلاب التي تجول بطرقات المدينة)) [2]. ومما يؤثر عن الطبيب ابن التلميذ أنه ذكر ضرر الذباب على الجرح قبل اكتشاف المتأخرين له ، حيث قال :

لا تحقرن عدواً لان جانبه ولو يكون قليل البطش والجلد

فللذبابة في الجرح الممد يد تنال ما قصرت عنه يد الأسد [3]

وعرف الأطباء العرب والمسلمون أن ناقل مرض حبة بغداد (أو يسمونها البلخية) حشرة تشبه البعوض (ذبابة الرمل Phlebutomus) يقول ابن سينا عن ذلك : ((والبلخية من جنس السعفة الرديئة وربما كان سببها لسعاً مثل البعوض الخبيث)) [4]. وهذا من أقدم الإشارات إلى حدوث أو انتقال مرض مستديم ومستوطن بعد عضة حشرة [5].

وقد أسهب الأطباء العرب والمسلمون في ذكر تأثير عضة الحيوانات والهوام والحشرات وكذلك في كيفية التخلص من الأنواع الضارة (كالحيات والعقارب والبراغيث والبعوض والفأر

---

[1] – محمد ، الدكتور محمود الحاج قاسم : الطب عند العرب والمسلمين ... تاريخ ومساهمات ، الدار السعودية للنشر ، جدة 1987 ، ص 281 .

[2] – بن ميلاد ، الحكيم أحمد : تاريخ الطب العربي التونسي – مطبعة الاتحاد التونسي للشغل ، تونس 1980 ، ص 153 .

[3] – ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم : عيون الأنباء في طبقات الأطباء – دار الفكر ، بيروت 1956 ، ج 2 ، ص 283 .

[4] – ابن سينا : القانون – ج 3 ، ص 288 .

[5] – محمد ، د . عبد الحافظ حلمي / التقي ، د . منى : تاريخ مرض الليشمانيا الجلدي ودور العلماء المسلمين فيه ، محاضرات مؤتمر الطب الإسلامي الأول – الكويت 1982 ، ص 106 .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والذباب والزنابير والخنافس والأرضة ... الخ) . وكل ذلك لتأمين بيئة صحية خالية من الأمراض .

6 – رقابة الدولة على المرافق العامة والطرق للحفاظ على الصحة وسلامة البيئة :

من المعروف بأنه كان للدولة خلال العهود الإسلامية المختلفة جهود مشهودة في بناء البيمارستانات (المستشفيات) الثابته ، والإسهام في تهيئة البيمارستانات المتنقلة وتوزيع الأدوية في أوقات انتشار الأمراض وتفشي الأوبئة ، وإن تلك الجهود لا شك أسهمت في توفير فرص الشفاء والوقاية من الأمراض والأوبئة المتفشية في تلك الفترة .

وإضافة على ذلك فإن رقابة الدولة على المرافق العامة والطرق كان له دور فاعل في الحفاظ على الصحة والوقاية من الأوبئة ، والمكلف من قبل الدولة للقيام بذلك كان المحتسب الذي ينصبه الأمام أو نائبه (والحسبة أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله) فيما يلي نذكر نماذج لتلك الرقابة :

أ – الحمامات : روي عن بغداد أنها كانت كثيرة الحمامات العامة والخاصة .

وكان ((المحتسب هو عين الدولة في الإشراف على الحمامات من جهتين ، الأولى نظافة الحمام وشموله على الأسس الصحية ، أما الثانية فهي تحلي العاملين فيه والداخلين إليه بالالتزام بأخلاق العامة .

((ففي الجانب الصحي للحمام أشارت كتب الحسبة إلى المواصفات التي يشترط توفرها في الحمام الشعبي من حيث سعته ونظافة أفنيته وأدواته والعاملين فيه ، فضلاً عن تعطيره بأنواع العطور المختلفة . أما الجانب الأخلاقي الواجب توفره بالحمام ، كما تذكره كتب الحسبة أو غيرها فهو الاحتشام وستر العورة بالاتزار)) [1]

وكمثال على الخطوات العملية للدولة في مجال الجانب الصحي للحمام ، اتخاذ الخليفة المقتدي

(467-487هـ / 1075-1095م) في أول خلافته أمراً بمنع تصريف المياه القذرة للحمامات إلى دجلة ، والزم أصحابها بحفر آبار لهم لهذا الغرض [2] .

---

[1] – الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص 86–88 ، ابن الإخوة : معالم القربة في أحكام الحسبة 154–158 ، إبن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسبة 68–70 .

[2] – الرحيم ، د. عبد الحسين مهدي : الخدمات العامة في بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد 1987 ، ص 308 .

ب- الطرق : يرى الفقهاء أن للدولة مباشرة في اصلاح الطرق وتنظيمها . . ويمدنا الفقهاء ومؤلفوا كتب الحسبة بمعلومات وافية من مسؤوليات المحتسب في هذا الجانب من المصلحة العامة من حيث المحافظة على الطرق ونظافتها وصيانتها من كل ما يلحق الضرر بها أو بالسالكين لها [1].

ج- الأسواق : لقد حدد مؤلفوا كتب الحسبة وغيرهم مسؤوليات المحتسب في السوق لحماية المجتمع من حيث مراقبة صحة الأوزان والمكاييل وجودة السلع ومنع الغش . . إلخ

ومن مسؤوليات المحتسب الأخرى في الأسواق تنظيمها ، حيث يفرد لبعض الحرف والصنائع والمهن سوقاً يختص بها حفظاً لنظافتها وخدمة لمصالح الناس ، كما يشترط أن تكون الأسواق في حالة من الارتفاع والاتساع المناسب ، وعلى جانبي السوق ممرات يمشي عليها الناس ، ولا يسمح بتضييقها بمساطب ودكاك تلحق بالحوانيت ، لما في ذلك ضرر بالناس [2].

---

[1] – الرحيم : الخدمات العامة في بغداد (المصدر نفسه) ، ص 311 .

[2] – المصدر نفسه ص313 .

القسم الثالث
الأوبئة التي انتشرت في البلاد العربية الإسلامية عبر التاريخ

شبكة
الألوكة

الفصل الأول
الأوبئة التي انتشرت في العصور الإسلامية

1 - وباء الطاعون:

تناولت كتب الطب داء الطاعون تاريخياً فعادت به إلى 600 ق. م.

ووصف حسان ابن ثابت شاعر رسول الله (ص) طاعوناً حدث بالشام قبل ظهور الإسلام ، وقد جاء ذلك في ثلاثة أبيات في ديوانه . وان هذا الطاعون كان قادماً من بلاد الروم التي تكرر فيها هذا الطاعون .[1]

يقول ابن حجلة في كتابه الطاعون وينقله عنه ابن حجر والسيوطي في كتابيهما الطاعون أن أول طاعون في الإسلام ((وقع على عهد النبي (ص) سنة ست للهجرة – أي 627 م – بالمدائن ، وعرف بطاعون شيرويه وحكاه ابن عساكر في تاريخ دمشق باسم طاعون يزدجرد .

وأن هذا الطاعون لم يدخل جزيرة العرب)) .

طاعون عمواس (قرية في فلسطين) : يعتبر طاعون عمواس أول طاعون أصاب المسلمين ، بل أصاب مجموعة كبيرة من خيار الصحابة بينهم أبا عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وزوجته واثنين من بنيه ، وشرحبيل بن حسنة ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب (ابن عم الرسول ص) وأبا مالك الأشعري ، ويزيد بن أبي سفيان ، والحارث بن هشام ، وسهل بن عمرو . وكان عدد من مات في طاعون عمواس من جند المسلمين خمسة وعشرين الفاً . . وقد وقع عام سبع عشرة ، وقيل ثماني عشرة للهجرة في زمن عمر (رض) .

وفي طاعون عمواس حصلت القصة المشهورة من خروج عمر ﷺ إلى أرض الشام ليتفقد الجند ، فلما وصل إلى سرغ (وهي قرية من طرف الشام مما يلي الحجاز) بلغه نبأ الطاعون في الشام ، فاستشار القوم فاختلفوا ، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف ، وكان متغيباً في بعض حاجته ، وأنبأه بالحديث الذي سمعه من رسول الله (ص) في الطاعون فقال إن عندي من هذا علم . سمعت رسول الله (ص) يقول ((إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وانتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه)) قال فحمد الله عمر بن الخطاب ، ثم إنصرف .

موجات الطواعين فيما بعد[1]: توالت الطواعين فيما بعد

---

[1] – البار : الدراسة (مصدر سابق) ص 21 .

حيث وقع طاعون عام 49هـ / 669 م بالكوفة ، ومات فيه المغيرة بن شعبة ، واستمر حتى عام 53 هـ/ 672م . عندما مات فيه زياد ابن أبيه .

ثم وقع بالبصرة (الطاعون الجارف) لأنه جرف الناس كما يجرفهم السيل ، وذلك سنة 64هـ/ 683م واستمر حتى سنة 80 هـ / 699م . ومات فيه أنس ابن مالك خادم رسول الله (ص) ثلاثة وثمانون ولداً (من أبنائه وأحفاده)، ولأبي بكرة من أهل البصرة أربعون ولداً . قال ابن كثير : كان ثلاثة أيام : مات في أول يوم منه من أهل البصرة سبعون ألفاً ، وفي اليوم الثاني منه واحد وسبعون ألفاً ، وفي اليوم الثالث منه ثلاثة وسبعون ألفاً. وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلا القليل من آحاد الناس .

قال الحافظ ابن حجر : ((وكان بمصر سنة ست وستين طاعوناً ، ثم في سنة وفاة عبد العزيز بن مروان سنة خمس وثمانين)) ومات بالطاعون . . وكذلك كان الطاعون بالشام سنة تسع وسبعين .

ثم وقع بالبصرة طاعون الفتيات سنة 87هـ/ 705م ، وسمي بذلك لكثرة من مات من الفتيات والشابات العذارى .

ثم طاعون الأشراف ، وقع والحجاج في واسط . . وسمي بذلك لكثرة من مات فيه من أشراف الناس .

ووقع بالشام طاعون مات فيه ولي العهد أيوب بن الخليفة سليمان بن عبد الملك وذلك سنة 98هـ/ 716م في حياة أبيه .

واستمر الطاعون بالشام يتكرر طوال العهد الأموي سنة 100، 107، 115، حتى كان خلفاء بني أمية إذا جاء الطاعون يخرجون إلى الصحراء ، ومن ثم اتخذ هشام ابن عبد الملك الرصافة منزلاً . ثم خف الطاعون في الدولة العباسية .

ثم وقع طاعون بالبصرة سنة 127 ، وسنة 131 .

ثم كان في سنة 134 بالري، ثم في سنة 146 في بغداد ، ثم في سنة 221 في البصرة .

ثم في سنة 249 بالعراق ، وفي سنة 288 في اذربيجان وبردعة ، ثم في سنة 299 بأرض فارس ، ثم في سنة 301 في بغداد وفي سنة 324 باصبهان ، ثم في سنة 346 بالعراق وكثر فيه

---

[1] – أوجزنا ذلك عن – السيوطي ، الإمام جلال الدين : مارواه الواعون في أخبار الطاعون ، تحقيق ودراسة د. محمد علي البار ، دار القلم – دمشق 1997 ، ص 181–192 .

موت الفجأة (منهم من مات وهو يصلي، ومنهم من مات وهو يأكل ، ومن مات وهو يمشي، ومن مات وهو يجامع ، ومن مات في الحمام ، وفي جميع الأحوال .

ثم وقع في سنة 406 بالبصرة، ثم وقع في سنة 423 طاعون عظيم ببلاد الهند والعجم وبلاد الجبل ، وامتد إلى بغداد وفني الناس ولم يشاهدوا مثله .

ومات بالموصل في سنة 423 أربعة آلاف صبي بالجدري.

ثم وقع بشيراز سنة 425، ووصل إلى البصرة وبغداد بحيث صلى الجمعة أربعمائة نفس، وكانوا أكثر من أربعمائة ألف .

ثم وقع سنة 448 بمصر والشام ، ثم وقع بالعجم سنة 449 ، ثم وقع بمصر سنة 455 ودام عشرة أشهر ، ثم بدمشق سنة 469 وكان أهلها نحو خمسمائة ألف لم يبق منهم سوى ثلاثة آلاف وخمسمائة ، ثم وقع في سنة 478 بالعراق ، ثم في سنة 552 بالحجاز واليمن ، ثم في سنة 575 ببغداد ، ثم في سنة 633 بمصر وكان عظيماً جداً .

ثم كان الطاعون العام سنة 749 ولم يعهد نظيره ، فإنه طبق الأرض شرقاً وغرباً ، ودخل مكة المشرفة . . مات فيه على جهة التقريب نصف العالم أو أكثره ، وبلغ الموت في القاهرة كل يوم زيادة على عشرين ألفاً .

ثم وقع في سنة 764 بالقاهرة ودمشق ، ثم في سنة 771 بدمشق ، ثم في سنة 781 بالقاهرة ، ثم في السنوات 791 ، 819،813، 821 ، 822 ، 833 وكان هذا أوسع الطواعين كلها .

ثم في سنة 841 بمصر ، ثم وقع سنة 849 ، وفي سنة 864 بمصر والشام ، ثم في سنة 873 وسنة881ثم بالروم سنة 896 ، ودخل حلب في بداية 897 ثم وصل مصر.

2- داء الكلب :

سنة 300 هـ / 912م كلبت الكلاب والذئاب في البادية فأهلكت خلقاً كثيراً [1]

3- الوباء (الكوليرا) :

لقد تردد ذكر كلمة الوباء عند ابن الأثير دون تحديد نوع الوباء في السنوات التالية وعلى الأغلب المقصود به مرض الكوليرا:

سنة 330 / 912م (ج8،ص 91) ، سنة 347هـ/ 958 م (ج8،ص525) ، سنة 378هـ /988م (ج9، ص 60) ، سنة 406 هـ / 1015 م (ج9 ، ص 263)، سنة 423هـ /1031 (ج9، ص 426) ، سنة 439 هـ/ 1047م (ج9،ص 541) ، سنة 448هـ/1056م (ج9 ،ص 631) ، سنة449هـ/ 1057م (ج9، ص637) ، سنة 492هـ/ 1098 م كان في خراسان غلاء شديد ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم (ج10، ص 291) ، سنة 576 هـ/1180م حصل وباء شديد كثر فيه الموت .

4- الأمراض الدموية :

سنة 301 / 913(ج 8 ، ص85)

5- الحميات ووجع المفاصل :

سنة 329/ 940 (ج8 ، ص 378)

6- أورام الحلق والماشرا والخوانيق :

سنة 346 هـ/ 860م (ج8 ص 520) ،

((سنة 425هـ/ 1033 م وفيها كثر الموت بالخوانيق في كثير من بلاد العراق ، والشام ، والموصل وخوزستان ، وغيرها حتى كانت الدار يسد بابها لموت أهلها)) (ج9،ص 438).

ويذكر((أن الناس سنة 600هـ/ 1203م أصابهم وجع كثير في حلوقهم ، ومات منه كثير من الناس .)) (ج10 ، ص42) .

---

[1] – إبن الأثير ، عز الدين إبن أبي الحسن علي الشيباني : الكامل في التاريخ ، دار صادر – بيروت 1979 ، ج 8 ص 74 .

7-الجدري :

- سنة 423هـ/1031م (ج9،ص 426) . سنة 496هـ/ 1102 م (ج10 ، ص 396) وفيها كثر الجدري في كثير من البلدان ، لاسيما العراق فإنه كان فيه كله ، ومات فيه من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت عظيم . .

شبكة
الألوكة

الفصل الثاني
الأمـــراض والأوبئـــــة التـــي اجتاحت العـــراق فـــي الـعـهـد العثماني ووسائل الوقاية منها

قبل الدخول في صلب الموضوع هناك أمران لابد من ذكرهما :

الأول : هو بأنني أقر أنه قد سبقني لطرق موضوع البحث هذا الكثير من الأساتذة الأفاضل ممن تخصصوا في تدوين التاريخ العثماني ، وكانت لهم في هذا الميدان صولات وجولات استفدت الكثير من أبحاثهم الرائدة في إعداد هذا القسم .

الثاني : كان للتدهور الصحي في العراق خلال الفترة العثمانية (1258 – 1914 م) أسباب يستوجب ذكرها بشكل موجز فيما يلي :

1 . الفقر والمجاعات نتيجة القحط الحاصل من قلة الأمطار أو هجمات الجراد ، إضافة لتخلف أساليب الزراعة .

2 . كثرة الأهوار والمستنقعات والبرك الآسنة نتيجة الفيضانات .

3 . عدم الاهتمام بالبيئة وحمايتها من التلوث مثل (وجود المقابر والمدابغ ومحلات الذبح) داخل المدن ، وعدم توفير مياه الشرب المعقمة ، وعدم وجود نظام لتصريف المياه الآسنة والثقيلة .

4 . ضعف الوعي الصحي لدى السكان في الإجراءات التي تتخذ للوقاية من انتشار الأمراض واعتمادهم في المعالجة على الجهلة والمشعوذين .

5 . سوء الإدارة وعدم استقرار الولاة وعدم الاهتمام بأحوال البلد من قبل بعضهم ، وعدم استتباب الأمن ، وتعرض العراق للحروب المتكررة والحصار .

6 . عدم وجود إدارة صحة كفوءة ، وقلة الكوادر الطبية المؤهلة والمدربة ، وعدم وجود عدد كاف من المستشفيات والمستوصفات .

ونتيجة للأسباب التي ذكرناها مجتمعة انتشرت الأوبئة وغالباً ما كانت الأوبئة تؤدي إلى هلاك الكثيرين وخاصة سكان المدن المزدحمة .

أولاً :أهم هذه الأوبئة التي ذكرها المؤرخون في هذه الفترة : كانت كما يلي

أ – الطاعون :

حدثت خلال العهد العثماني في العراق موجات متكررة من وباء الطاعون نذكرها فيما يلي حسب تواريخ ظهور الوباء :

1 . ((1028 هـ / 1619 م ظهر وباء الطاعون وفتك بأعداد كبيرة من الناس))[1] في بغداد.

2 . ((1045 هـ / 1635 م تفشى وباء الطاعون ... وكانت الوفيات عدة آلاف من الناس في اليوم)) [2] في بغداد .

3 . ((1048 هـ / 1638 م تفشى وباء الطاعون)) [3] وتوفي الكثير من أبناء بغداد .

4 . ((1080 هـ / 1669 م حدوث وباء الطاعون الذي كان يموت به نحو 50 – 70 نسمة يومياً في بغداد)) [4].

5 . تفشى الطاعون سنة 1101 هـ / 1689 م وظل يفتك بالناس مدة تزيد على خمسة أشهر ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا الطاعون قد قضى على مائة ألف نسمة في بغداد [5].

6 . سنة 1102 هـ / 1690 م كان الطاعون أشد فتكاً وضراوة واستقام مدة 3 أشهر فقضى على خلق كثير من سكان بغداد [6].

7 . وفي سنة 1120 هـ أو 1103 / 1690 أو 1691 م تفشى في البصرة طاعون وبيل أخمد فيها الحياة ... فقد كان الناس يموتون بمقدار 500 في اليوم [7].

8 . 1131 هـ / 1718 م حصل وباء الطاعون في بغداد [8].

9 . ((وفي سنة 1151 هـ / 1738 م وقع الطاعون في الموصل ونواحيها ... ومات فيه خلق كثير وضبط الموتى في بعض الأيام فجاوزت عدتهم ألفاً)) [1].

---

[1] – الورد ، باقر أمين : حوادث بغداد في 12 قرن – مكتبة النهضة ، بغداد 1989 ، ص 169 .

[2] – المصدر نفسه : ص 199 .

[3] – المصدر نفسه : ص 200 .

[4] – المصدر نفسه : ص 206 .

[5] – العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين احتلا لين– شركة التجارة والطباعة المحدودة – بغداد 1954 ج 4 ، 5 .

[6] – المصدر نفسه .

[7] – لونكريك ، ستيفن هيمسلي : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث – ترجمة جعفر الخياط ، الطبعة السادسة ، ص 149 .

[8] – عباس العزاوي : المصدر السابق .

10 . 1152 هـ / 1739 م ظهر وباء الطاعون مرة أخرى في بغداد .

11 . ((وفي سنة 1175 هـ / 1761 م انتشر الطاعون في الموصل منتقلاً إليها من كردستان حيث أهلك الكثيرين . وعاد الطاعون إلى الموصل مرة أخرى سنة 1773 م وعم العراق ودام يفتك بالناس حتى سنة 1187 هـ / 1775 م)) [2].

12 . ((وفد الطاعون من استنبول على مدن العراق سنة 1186 هـ / 1772 م ففتك بأهلها فتكاً ذريعاً ، وقل أن نجت مدينة أو قرية من آثاره ، وتدل التقديرات المحلية المرتفعة لعدد الموتى رغم مبالغتها ، على فداحة الخطب . فقد قدر عدد الموتى في الموصل وحدها بنحو ألف إنسان كل يوم)) [3] . ((ومثل ذلك في كركوك وفني أكثر أهل أربيل وامتد إلى تكريت وعانة والحديثة وغيرها . وكان هوله في بغداد عظيماً ، حيث قدر عدد الموتى في اليوم الواحد بأكثر من ألف نسمة)) [4] .

13 . صار العراق يئن تحت وطأة الطاعون خلال السنوات 1773 ، 1774 [5] ((إن وباء الطاعون الذي اجتاح العراق عام 1188 هـ / 1774 م قد تسبب في هلاك نسبة كبيرة من سكان ولايتي بغداد والبصرة . وقد قدرت مجلة المعهد الطبي العراقي عدد الوفيات بما يقارب المليون نسمة)) [6].

14 . 1198 هـ / 1783 م ظهر الطاعون في بغداد مرة أخرى .

15 . في نهاية سنة 1200 هـ / 1875 م تفشى وباء الطاعون – في بغداد – واستمر عدة أشهر وقضى على ما لا يحصى من الأرواح)) [7].

---

[1] – العمري ، محمد أمين بن خير الدين الخطيب : منهل الأولياء – تحقيق سعيد الديوه جي ، مطبعة الجمهورية ، الموصل 1967 ، ص 149 .

[2] – الصوفي ، أحمد علي : أرض السواد – مطبعة الاتحاد الجديدة بالموصل ، 1955 ، ص 97 .

[3] – العمري ، ياسين : منية الأدباء – تحقيق سعيد الديوه جي ، الموصل 1955 ، ص 188 .

[4] – العمري ، ياسين : زبدة الآثار الحلية ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ، النجف ، 1974 ، ص 135 .

[5] – لونكريك : المصدر السابق ، ص 226 ، 231 .

[6] – للوقوف على المزيد من التفصيلات أنظر مجلة المعهد الطبي العراقي ، الجزء الثالث ، المجلد الأول ، بغداد 1935 .

[7] – العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين احتلالين – شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد 1954 ، ج 6 ، ص 97 .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

16 . ((في شهر ذي القعدة من السنة 1216 هـ / 1801 م ظهر وباء الطاعون في مدينة بغداد وبدأ ينتشر ...)) ((إن الطاعون أخذ يفتك بسكان بغداد ... ويحصد منهم ما يقرب من سبعين نفساً في اليوم)) [1].

17 . ((الطاعون بدت آثاره في بغداد في شوال من السنة 1217 هـ / 1802 م ودام حتى سنة 1218 هـ / 1803 م)) [2].

18 . سنة 1235 هـ / 1819 م تفشى في بغداد الطاعون في أواخر الربيع ومات بسببه الكثير. وفي ((سنة 1236 هـ / 1820 م ألقى الله ما تصفه الألسنة من وباء عظيم وبلاء عميم كاد يفني أهل البصرة ... وهو الطاعون)) [3].

19 . عن طاعون سنة 1247 هـ / 1831 م في بغداد كتب أحد المبشرين البريطانيين واسمه غروفز [4] يقول ((في اليوم العاشر من نيسان سنة 1831 مات بالطاعون في الجانب الشرقي من من المدينة 1200 وفي اليوم التالي مات 1400 ثم استقر معدل الوفيات على 1000 يومياً وبلغ خلال شهر 30 ألف وفاة فأجهز هذا الوباء على ثلثي سكان بغداد ... ومرض المبشر غروفز نفسه بالطاعون في شهر أيار وتوفي .

20 . وفي العام التالي ظهر الطاعون بادئ الأمر في البصرة ... ثم مضى صعداً في مجرى دجلة فوصل إلى بغداد)) [5].

21 . ((سنة 1292 هـ / 1875 م حل طاعون آخر وقد زال أثره بعد مدة قصيرة ولم يكن بصورة وبائية شديدة)) [6].

22 . ((انتشر الطاعون مرة أخرى في العراق التركي 1881 وقد كان قاسياً جداً حتى قيل أنه أهلك نصف سكان مدينة النجف . وظهر المرض للمرة الثانية في سنة 1892 في العراق التركي

---

[1] – الكركوكلي ، الشيخ رسول : ((دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء)) نقله عن التركية موسى كاظم نورس ، مكتبة النهضة ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص 216 ، 217 .

[2] – بن سند ، عثمان : مطالع السعود – تحقيق د . عماد عبد السلام رؤوف وسهيلة عبد المجيد القيسي ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع 1991 ، ص 253 .

[3] – بن سند : المصدر نفسه – ص 338 .

[4] – جميل ، فؤاد : رحلات إلى العراق – بغداد 1966 ، ص 43 .

[5] – نفوصيل ، بيردي : الحياة في العراق منذ قرن 1814 – 1914 ، ترجمة أكرم فاضل ، دار الجمهورية ، بغداد 1968 ، ص 53 .

[6] – الوتري ، الدكتور هاشم / د . معمر الشابندر : تاريخ الطب العراقي – بغداد 1939 ، ص 11 .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبدأ في الناصرية على نهر الفرات وامتد بعد ذلك إلى البصرة ومنها إلى بغداد ، وقيل أن أربعمائة حالة من الطاعون قد حدثت في البصرة في أسوأ أيام هذا الوباء)) [1].

23 . في أبريل ومايو 1901 م حدثت في البصرة عشر حالات وفاة من الطاعون وفي مايو ويناير 1902 حدثت حالات قليلة في بغداد [2].

24 . ((انتشر الطاعون في البصرة خلال شتاء 1916 م ، وربيع سنة 1917 م وفي شهر حزيران سنة 1918 م)) [3].

ب – الكوليرا (= الهيضة = أبو زوعة = الهواء الأصفر) :

((من المؤكد تماماً أن أول مرة ظهر فيها هذا المرض هو عندما بدأ في جاسور بالبنغال في العام 1817 م حيث شمل القارة الهندية بأكملها)) [4].

أما موجات انتشاره في العراق فكانت كما يلي :

1 . جاء في سالنامة ولاية البصرة أنه ((في سنة 1236 هـ / 1820 م ظهرت علة الهيضة في البصرة ... وبقيت اثني عشر يوماً في غاية الشدة ثم خفت وطأتها)) [5].

((وفي سنة 1820 ظهر الوباء وكان يسمى في بغداد أبو زوعة أو الهواء الأصفر وقد جاء إلى العراق من الهند عن طريق البصرة . ويروى أن الوالي داؤد باشا طلب جلب الأدوية اللازمة لمكافحة الوباء)) [6].

2 . يقول محمد الجلبي ((وحدث عندنا هيضة وبائية سنة 1246 هـ / 1830 م كلمن اعترته مات)) [7].

---

[1] – ج . ج . لوريمر : دليل الخليج – القسم التاريخي ، ج 6 ، طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر (الدوحة) ص 3674 .

[2] – المصدر نفسه : ص 3682 .

[3] – التميمي ، حمد أحمد حمدان : البصرة في عهد الاحتلال البريطاني 1914 – 1921 م ، مطبعة الإرشاد ، بغداد (بدون تاريخ) ، ص 392 .

[4] – لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي – ج 6 ، ص 3647 .

[5] – سالنامة ولاية البصرة لسنة 1308 هـ / 1890 م ، ص 314 .

[6] – رحلة فريزر إلى بغداد – ترجمة جعفر الخياط ، بغداد 1964 ، ص 110 .

[7] – الجلبي ، الطبيب محمد المهتدي : الطب المختار – مخطوطة مكتبة الأوقاف بالموصل رقم 18 / 6 خزانة داؤد الجلبي ورقة 74 .

3 . ((أما عن الوباء في سنة 1846 م فقد بدأ بالتفشي بين الأهالي بصورة مرعبة ... فغادر القنصل البريطاني بغداد ومعه طبيب القنصلية وهربت الطائفة اليهودية وبقي الفرنسيون في المدينة وقد حصد الوباء 4318 في 15 يوم)) [1].

4 . ((وفي العام التالي – أي 1847 م – ظهر الوباء مرة أخرى بالرغم من تحذيرات الدكتور دروز الطبيب الفرنسي الذي كان في خدمة الحكومة العثمانية ولم تتخذ الحكومة المحلية إجراءات ضد المرض)) [2].

5 . ((وتفشى في السنوات 1865 ، 1871 ، 1881 ، 1889 ، 1893 ، 1894 ، 1899، 1902 ، 1904 مرض الكوليرا وقد راح ضحية المرض عدد كبير من السكان في مناطق مختلفة من العراق)) [3].

وعن موجة سنة 1889 نورد بعض الفقرات من تقرير طبي عثماني حيث جاء فيه :

((حسب السجلات الرسمية في أواسط شهر تموز سنة 1305 رومية / 1889 م ابتدأ ظهورها في الشطرة ... وبعد أن أدى إلى حدوث وفيات عديدة اندفع إلى الناصرية ... ثم إلى البصرة وبعد ذلك إلى بغداد وبقية مدن العراق جميعها)) .

((وأن من مجموع نفوس ولاية بغداد البالغ عددهم نصف مليون أصيب منهم (7000) وتوفي " 3516 شخص ")) [4].

6 . ((انتشرت الهيضة (الكوليرا) في البصرة خلال شتاء سنة 1335 هـ / 1916 م وربيع سنة 1336 هـ / 1917 م)) [5].

7 . 1336 هـ / 1917 م تفشى مرض الكوليرا في بغداد مما حمل السلطات البريطانية على إجراء تطعيم عام في الدوائر العسكرية في صيف 1917 [1].

---

[1] – نفوصيل : الحياة في العراق منذ قرن – مصدر سابق ، ص 51 .

[2] – المصدر نفسه : ص 51 .

[3] – ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي – مصدر سابق ج 6 ، ص 3649 ، 3652 ، 3655 ، 3656 ، 3665 ، 4666 .

[4] – حكمت ، د . عبد الحكيم : استكشافات طبية أو المسح الجغرافي الطبي لولايات اليمن والحجاز وبغداد – مخطوط باللغة التركية العثمانية ، مكتبة جامعة استنبول رقم (4320) . ترجمة الدكتور محمود الحاج قاسم محمد – نشر جامعة الموصل ، 2014 .

[5] – التميمي ، حمد أحمد حمدان : البصرة في عهد الاحتلال البريطاني 1914 – 1921 ، مطبعة الإرشاد ، بغداد (بدون تاريخ) ، ص 392 .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ج – الأوبئة والأمراض الأخرى :

إن أغلب الأمراض الأخرى لم تكن شدة وبائيتها كالمرضين السابقين وإنما كانت محدودة الانتشار وقليلة التكرار وأهم هذه الأمراض هي :

1. التيفوس :

((خلال الحرب العالمية في سنة 1915 نقل النازحون من الأنظول جنوباً مرض التيفوس إلى العراق نتيجة سوء الحال الذي كانوا فيه)) ((ومع سيل الجرحى القادمين من معركة سلمان باك كان وباء التيفوس قد بدأ انتشاره نتيجة تفشي القمل في الجيش)) [2]. لذا فقد ظهر التيفوس في بغداد في تلك السنة فأمرت الحكومة موظفيها بأن يلقحوا ضد هذا المرض[3].

2.الملاريا (البرداء) :

إن أوبئة الملاريا كانت تنتشر في أعقاب الفيضانات التي كانت تحدث بين سنة وأخرى إذ كانت تترك برك الماء والمستنقعات في الأراضي المحيطة بالمدن والأهوار .

يذكر قنصل فرنسا العام في بغداد سنة 1853 ((أن الحمى السنوية في البصرة كانت قد أحدثت وفيات كثيرة)) ((وفي العام التالي اجتاحت بغداد حمى وبيلة سببتها فيضانات الفرات . فصالت وجالت وعانت هذه المدينة وأصبت أنا نفسي بها)) [4].

ولا نعلم بشكل قطعي قصده بالحمى السنوية وإن كنا نرجح أنه قصد مرض الملاريا . ((ومع أن مرض الملاريا كانت متوطنة في البصرة إلاّ أنها انتشرت بشكل وبائي عام 1876 م))[5].

ويبدو أن الملاريا لم تكن كثيرة الشيوع في البصرة ، بينما أثناء وبعد الحرب أخذت تتفشى ، وذكر أن مصدر العدوى بها هو الهند وقد كانت سبباً في وفاة (7 %) من الوفيات المسجلة بالبصرة سنة 1918 م)) [6].

وتقول المس بل ((على أن أخطر مشكلة صحية تجابهنا في ولاية الموصل وجود الملاريا من النوع الخبيث في أنحاء الجبال كلها ... كما صار المرض يهدد الموظفين الملكيين أيضاً وكانت

---

[1] – الورد ، باقر أمين : حوادث بغداد في 12 قرن (مصدر سابق) ، ص 268 .

[2] – أوزباي : ص 186 ، 190 .

[3] – العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين – ج 8 ، ص 285 .

[4] – نفوصيل : الحياة في العراق منذ قرن – ص 50 .

[5] – العامر ، يقضان سعدون : البصرة في العهد العثماني الأخير – موسوعة البصرة الحضارية (الموسوعة التاريخية) ص 260 .

[6] – التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني – ص 404 .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إحدى الخطوات التي خطتها الحكومة التركية في هذا الشأن أن توزع الكنين مجاناً في هذه المناطق)) [1].

3 – الجمرة الخبيثة :

((وفي سنة 1913 م حل في البصرة مرض (النزول) ... وكانت الحميات تأتي للشخص ثم يصاب بمرض النزول الذي هو عبارة عن نقطة سوداء وبقع تشبه – الدمامل – يصاب صاحبها سريعاً ... ثم تشخص عيناه وتنقطع عنه حاسة السمع ثم تستك أسنانه ويموت ... ويصاحب المرض سيلان الدم من الفم)) [2] . ويبدو من الأعراض المذكورة أنه قصد بمرض النزول الجمرة الخبيثة .

4 – الجدري والحصبة :

((في سنة 1219 هـ / 1794 م تفشى في الموصل وباء الجدري والحصبة)) ((1210 هـ / 1795 م ظهر مرض الجدري والحصبة في بغداد وضواحيها)) [3].

((وفي عام 1901 كان الجدري منتشراً في البصرة والمحمرة)) [4]. أما في البصرة فقد تفشى مرض الجدري سنة 1918 م [5].

5 – الماشرا (الخنّاق) :

((في سنة 340 هـ / 951 م كثرت ببغداد ونواحيها أورام الحلق والماشرا (الخناق) وكثر الموت بهذا المرض)) . ((وفي سنة 426 هـ / 1034 م انتشر في العراق والموصل وخوزستان والشام مرض الخوانيق فمات عدد كبير من سكان هذه الأقطار)) [6].

5 – السحايا :

ظهرت في البصرة سبعة عشر إصابة بمرض التهاب السحايا في السنة 1917 م)) علماً ((بأن مرض السحايا لم يكن معروفاً في البصرة قبل الحرب وقد جاء إليها مع سفن الإمدادات والتجهيزات البريطانية من مصر وإفريقيا وأوربا)) [1].

---

[1] – المس بل : فصول من تاريخ العراق القريب – ترجمة جعفر الخياط ، الطبعة الثانية ، 1971 ، ص 252 .

[2] – البازي ، حامد : البصرة في الفترة المظلمة – دار منشورات البصري ، بغداد 1969 ، ص 79 .

[3] – الورد ، باقر أمين : حوادث بغداد في 12 قرن (مصدر سابق) ص 196 .

[4] – لوريمر : دليل الخليج – القسم التاريخي ج 6 ، ص 3710 .

[5] – أحمد ، د . إبراهيم خليل : النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق 1258 – 1921 ، مجلة آداب الرافدين العدد 16 ، تشرين الثاني 1986 ، ص 252 .

[6] – ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي : الكامل في التاريخ ج 8 ، ص 256 ، ج 9 ، ص 183 .

6 – حبة بغداد :

يقول الدكتور عبد الحكيم حكمت في تقريره سنة 1889 م ((حبة بغداد كثيرة الوقوع حيث تظهر في جميع أهالي بغداد وبعض المقيمين وتترك في محلها ندبة)) [2].

7 – أمراض معدية أخرى :

وكان إضافة لما ذكرنا أمراض معدية أخرى متوطنة تظهر بين الحين والآخر كالحمى التيفوئيدية والأنفلونزا والحب الإفرنجي (السفلس أو الزهري) والبلهارزيا وأنواع الديدان الأخرى وبعض أمراض العيون .

وأخيراً لابد من الإشارة إلى أن أغلب هذه الأوبئة والأمراض كانت تفد إلى العراق من الهند وبلاد فارس عن طريق الزوار والقوافل التجارية .

ثانياً – وسائل الوقاية من الأمراض والأوبئة :

يبدو أن الأتراك (العثمانيين) لم يتخذوا أية إجراءات وقائية على نطاق واسع في منطقة ما بين النهرين حتى العام 1876 م حيث كانت المنازل التي تحدث فيها حالات من المرض تعزل وتطهر ، كما كان يمنع الاتصال بين الأماكن المصابة وبقية البلاد ، ثم طبقت نظام المراكز الصحية وأزيلت الجسور إلى غير ذلك من الاحتياطات الوقائية المشابهة التي برهنت بأنها عديمة النفع وقاسية [3].

وقبل أن يشرف القرن التاسع عشر على الانتهاء حدثت إجراءات لها دلالات على شعور السلطة بأهمية الدراسات الميدانية في الوقاية من الأمراض على سبيل المثال :

قام السلطان عبد الحميد الثاني (1876 – 1909) بتكليف هيئة طبية من ثلاثة أطباء برئاسة أحد أساتذة كلية الطب في استنبول هو الرائد الطبيب عبد الحكيم حكمت بزيارة خمس من الولايات العربية (طرابلس الغرب ، بنغازي ، الحجاز ، اليمن ، بغداد) وإجراء مسح طوبوغرافي طبي وكتابة تقرير تفصيلي عن الحالة الصحية ، ودراسة أسباب انتشار الأمراض وسبل الوقاية منها وأساليب المعالجة المتبعة في تلك الولايات . وقد قامت اللجنة بذلك خلال

---

[1] – التميمي : المصدر السابق ص 392 ، 404 .

[2] – حكمت ، عبد الحكيم : استكشافات طبية (مصدر سابق) .

[3] – لوريمر : دليل الخليج العربي ، القسم التاريخي – ج 6 ، ص 2671 .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثلاث سنوات (1887 – 1890) وقدمت تقريرها على هيئة كتاب تحت اسم ((استكشافات طبية)) [1].

ومن بين المقترحات لمنع التلوث وتحسين البيئة التي قدمها التقرير بالنسبة لولاية بغداد ((رفع المقابر من داخل المدن إلى خارجها ودفن الموتى بشكل صحي ، رفع المدابغ من داخل المدن ، عمل إسالة ماء للشرب ، عمل مجاري لتصريف المياه الثقيلة)) [2].

ومن الإجراءات الفعلية التي اتخذتها السلطات ما يلي :

أ - **الحجر الصحي :** إن الحجر الصحي طبق أول ما طبق في الدولة العثمانية على السفن القادمة من روسيا إلى الموانئ العثمانية بعد ظهور الكوليرا هناك وكان تطبيقاً أولياً ، أما التطبيق الأول للحجر الصحي الحقيقي فقد وقع في عام 1831م في مضيق البوسفور على السفن القادمة من البحر الأسود [3]. وتأسس نظام الحجر الصحي في استنبول عام 1254 هـ / 1838 م [4] وقد صدر نظام الكرنتينة (الحجر الصحي وملحقاته سنة 1279 هـ / 1862م) [5].

((أما بشأن محطة الحجر الصحي في البصرة فإنها افتتحت في 1895 م في النهاية الشمالية لجزيرة صلاحية الواقعة في شط العرب)) [6].

وكانت ((دائرة الكرنتينة الرئيسية في بغداد تتألف إدارتها من مفتش وهو طبيب ، يساعده رئيس الكتاب والمحاسب وكاتب مع عدد من العمال [7] كما انتشرت الدوائر الفرعية التابعة لها في مناطق مختلفة من الولاية في كل من خانقين ومندلي وزرباطية والنجف وكربلاء والمسيب والكاظمية . حيث كان يوجد في كل منها مأمور مع عدد من الموظفين المساعدين .

وضمت دائرة صحة خانقين طبيباً وثلاثة أعضاء ومعاين واحد للجثث المرسلة من إيران لغرض دفنها في الأماكن المقدسة . بالإضافة إلى عدد من الموظفين والمأمورين الآخرين [8].

---

[1] – حكمت ، د . عبد الحكيم : استكشافات طبية (مصدر سابق) .

[2] – المصدر نفسه .

[3] – البقاعي ، محمد خير : الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م لجولدن صاري يلدز (محاضرات من الأنترنيت / تاريخ الطب والعلوم / الحجر الصحي في الحجاز (2008/10/5) ، ص 4 .

[4] – العزاوي : العراق بين احتلالين – ج 7 ، ص 41 .

[5] – العلوجي : الطب العراقي – ص 111 .

[6] – ألكسندر آدموف : ص 122 .

[7] – سالنامة بغداد : 1311 هـ ، ص 137 .

[8] – سالنامة بغداد : 1329 هـ ، ص 332 ، 333 .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويبدو أن هذه الدوائر لم تكن بالمستوى المطلوب فقد وجهت الانتقادات إلى مراكز الحجر الصحي بسبب تزمت موظفيها وتشددهم في مراقبة القادمين إلى العراق في فترات خلو المنطقة من الأمراض وتساهلهم في فترات ظهور الأوبئة وكذلك لجوءهم إلى أساليب الرشوة . وعلى رأي أحد الكتاب أن كل فرد بوسعه أن يشتري السماح له بالدخول بدراهم معدودة [1].

علاوة على هذا عدم توفر وسائل الراحة والعلاج في تلك المحاجر الصحية لدرجة أن بعض الأصحاء كانوا يقعون صرعى المرض في تلك البنايات المكشوفة التي كانت تفتقر إلى أبسط الشروط الصحية [2]. ومما يؤخذ على إجراءات تنفيذ الحجر الصحي رغم أهميتها كونها لم يصبها أي تطور طيلة الفترة العثمانية [3].

ب. دور طبابة البلدية في البصرة في الوقاية من الأمراض :

((إن دور طبابة البلدية كان بارزاً في مكافحة الأوبئة والأمراض السارية والوقاية منها قبل وقوع وتفشي المرض وأن إجراءاتها أدت إلى انحسار تفشي الأوبئة التي كانت تفتك بالسكان ، وعند تفشي المرض كان لها القدرة على حصره .

وقد ألفت لجنة لمكافحة داء الحصبة جهز لها كل من طبيب كرانتينة بغداد (طبيب الحجر الصحي) وصاحب العزة قول ألآي أفندي وطبيب البلدية في البصرة ذو الرفعة حبيب رسام أفندي والطبيبين القول أغاسيين صاحبي الفتوة قسطنطين أفندي وحسين أفندي واليوزباشيين ذوو الفتوة فون أفندي ويوسف أفندي من أطباء العساكر النظامية المعينين في البصرة منذ أن ظهرت العلة فيها ، ولم يألوا جهداً في السعي وتسريع المراجعة لأجل منع سراية العلة وحسن إبقاء وظائفهم))

وهذا إجراء أرادته طبابة البلدية لمكافحة المرض بالإضافة إلى اهتمامات الوالي الأمر ودعمه التعاون بين طبيبي البلدية والحجر الصحي لبذلهما الجهد بالتنظيفات والتطهيرات مع إيجاد حجر صحي في (كرمة علي) لحجر المسافرين الذاهبين إلى ولاية بغداد كي لا يتفشى المرض في الولايات الأخرى)) [4].

---

[1] – لونكريك : المصدر السابق ، ص 380 .

[2] – القهواتي ، حسين محمد : دور البصرة التجاري في الخليج العربي – بغداد 1980 ، ص 53 .

[3] – الجابري ، متعب خلف : تاريخ التطور الصحي في العراق في الفترة 1914 – 1932 م – رسالة ماجستير (غير منشورة) 1989 ، ص 14 .

[4] – بركات ، رجب : بلدية البصرة – ص 64 .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ج- التطعيم :

في القرون الأولى من الحكم العثماني ((يبدو أن السكان لم تكن لديهم وسيلة للوقاية من الوباء إلاّ الهرب من المدن الموبوءة إلى الأماكن الأخرى)) [1]. ((وهذا بدوره يؤدي إلى انتقال المرض إلى المناطق السليمة وانتشاره في الأماكن الأخرى)) [2].

ولأول مرة شرح محمد الجلبي المهتدي الموصلي (1190 – 1263 هـ / 1776 – 1846 م) بالعربية كيفية استعمال لقاح الجدري السليم الذي اكتشفه جنر، جاء ذلك في كتابه طب المختار[3].

((على أن هذه الفترة التي يمكن أن تكون مظلمة في تاريخ الطب العراقي لم تخل من بارقة علمية حديثة جديرة بالتخليد ، فقبل منتصف سنة 1786 م قدم بغداد تاجر شاب أرمني استانبولي الأصل اسمه أوانيس مراديان ... ويعتبر هذا الرجل أول من أدخل في بغداد – لأول مرة – التطعيم الواقي والعام من الجدري طبقاً لطريقة جنر ... والله وحده يعلم بما كابد من صعاب في سبيل الوصول على إقناع البغداديين بجدوى التطعيم وضرورته لتغلب الأوهام على عقولهم ، ولذلك خاب سعي أوانيس بالرغم من مناصرة الدكتور شارت طبيب القنصلية الإنكليزية ببغداد له . بيد أنه عاد سنة 1809 فأفرغ قصارى جهده في تذليل العقبات وتصديع الأوهام التي حالت قبلاً دون غايته ، وفاز أخيراً بأمنيته وتكلل مسعاه بنجاح باهر حينما رضي مفتي بغداد بأن يطعم أولاده وأحفاده الستة . فكانت هذه البادرة أكبر مؤازر له في تحقيق رسالته ولا سيما بعد أن عاضده الدكتور هين خلف الدكتور شارت المنوه سابقاً . وهكذا تمكن أوانيس أن يطعّم مجاناً مع زوجته تيريزا أكثر من (5400) طفلاً في مدة تسع سنوات . ولم يكتف أوانيس بتطعيم بغداد ونواحيها بل رغب كل الرغبة في نقله إلى غيرها من المدن العراقية .

فأدخله الموصل على يد القس بطرس بن بشارة بعد أن علمه أصول التطعيم ودربه على طريق إجرائه مدة بضعة شهور .

والجدير بالتنويه ، في هذا العرض ، هو أن آل سلمان السلماني (وهم نصارى أسلموا) وقفوا نساءهم وبناتهم على القيام ضد الجدري قبل أكثر من ثلاثين سنة ، وكانوا يقطنون في

---

[1] – فيضي ، سليمان : في غمرة النضال – بغداد 1952 ، ص 53 .

[2] – الجابري ، متعب خلف : تاريخ التطور الصحي في العراق في الفترة من 1914 – 1932 ، ص 260 .

[3] – الجلبي ، محمد المهتدي : الطب المختار – (مخطوطة) مكتبة أوقاف الموصل رقم 143 .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

محلة البو ميازع في البحية في الكاظمية وقد أفادني بذلك زميلي الدكتور حسين علي محفوظ))[1].

أما لوريمر فيشير إلى أن ((طبيب المقيمية البريطانية ببغداد أدخل نظام التطعيم عقب أن تلقى قدراً من أمصال اللقاح من فينا في 30 آذار 1802 م وقد استخدمت هذه الأمصال في أثناء بداية ظهور الطاعون ببغداد والبصرة في نيسان وأيار من السنة ذاتها)) [2].

((وجرى أول مرة في بغداد تطعيم ضد الهيضة في الوباء الذي حصل سنة 1917)) [3].

وجاء في سالنامة بغداد لسنة 1319 هـ / 1902 م ضمن إحصائية الآثار والإجراءات الحسنة التي حصلت خلال ولاية نامق باشا في بغداد أنه ((أنشأ ثلاثة أبنية متصلة بشكل محكم مع المستشفى (يقصد مستشفى نامق باشا) المذكور سابقاً وهذه الأبنية هي دائرة للقاح البقري ضد الجدري وكذلك للمصابين بالجدري وداء الكلب .

وأن هذه الدوائر لم تكن مخصصة لولايتنا وإنما لبقية المواقع وخاصة المصابين من ولاية الموصل والبصرة)) [4]. كما جاء في سالنامة ولاية البصرة لسنة 1320 هـ / 1903 م أن دائرة التلقيح كانت تضم (مدير ، مستحضر ، كاتب ، عمال خدمة 2) .

واعتباراً من نهايات القرن التاسع عشر صدرت قوانين عديدة تنظم أمور التلقيحات مما يدل على تحسس السلطة العثمانية لأهمية ذلك وهذه القوانين هي ((نظام التلقيح 1310 هـ / 1892 م ، تعليمات إجراء التلقيح 1322 هـ / 1904 م ، تلقيح الحمى (تيفو) 1330 هـ / 1911 م ، نظام تلقيح الجدري 1331 هـ / 1912 م)) [5].

---

[1] – العلوجي : ص 147 – 148 .

[2] – لوريمر : المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج 6 ، ص 3709 .

[3] – علي ، د . داؤد سلمان : الأوضاع الصحية في بغداد أثناء الفترة المظلمة من تاريخها من الاحتلال العثماني إلى الاحتلال البريطاني – ندوة بغداد دار السلام 1990 ، ص 231 .

[4] – سالنامة بغداد 1319 هـ / 1902 ، ص 489 .

[5] – الأعظمي ، الحاج حمدي : دليل القوانين والأنظمة المرعية في العراق منذ تأسيس القوانين في الحكومة العثمانية– (من سنة 1274 هـ حتى أواخر سنة 1353 هـ) مطبعة الفرات ، بغداد 1935 م ، ص 62 .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شبكة
الألوكة

الفصل الثالث
الأوبئة العالمية

تذكر المصادر الطبية حدوث أربعة جائحات كبرى ذهب ضحيتها الملايين من البشر وهي:

أول وباء عالمي (541-749 م) قبل الإسلام إلى 131هـ /748م [1]:

يعتبر طاعون جوستنيان (الإمبراطور البيزنطي) ، أول طاعون انتشر في العالم القديم بأسره ، وقتل خلال قرنين من الزمان نصف سكان المعمورة آنذاك . وقد ظهر هذا الطاعون عام 541 بعد الميلاد في وادي النيل وانتقل منه إلى الدلتا ومنها إلى سوريا ، ووصل إلى آسيا الصغرى ودخل القسطنطينية في صيف 542 وقتل ستة من كل عشرة من سكانها . . واجتاح الطاعون أوربا وشمال أفريقيا والشام بأكمله ومصر والعراق وفارس ومعظم البلاد المعمورة آنذاك . وكان عدد ضحاياه أكثر من مائة مليون شخص على مدى قرنين من الزمان في موجات متلاحقة ، كلما خفت موجة تلتها موجة أخرى أشد وأعتى .

الوباء العالمي الثاني في القرن الرابع عشر الميلادي [2] (1347م /747هـ) :

ظهر الطاعون العالمي الثاني في أوربا في القرن الرابع عشر الميلادي ، وكان أول ظهوره في فرنسا في تولوز عام 1347 م/747هـ ، والتي فقدت نصف سكانها ، كما فقدت مقاطعة نورماندي ثلث سكانها . وساح الطاعون في أوربا يفتك بسكانها حتى قتل أكثر من 25 مليون . . وكان الناس يحاربون الطاعون بالذهاب إلى الكنائس والتوبة وباضطهاد اليهود وقتلهم باعتبارهم سبب البلاء وسبب غضب الله تعالى . وان المصابون يعزلون ، وإذا ماتوا يتم حرق جثثهم وثيابهم وجميع ما كانوا يجلسون أو ينامون عليه .

وتعتبر البندقية أول مدينة أوربية طبقت نظام العزل (الكارنتين) بقوة . وانتقل الطاعون من أوربا إلى الأناضول والدولة البيزنطية ، ثم انتقل إلى الشام وقد سمي الطاعون العام حيث ظهر في معظم أرجاء المعمورة ، ووصل بلاد المسلمين سنة 749هـ/ 1349م .

قال الإمام السيوطي ((ثم كان الطاعون العام في سنة تسع وأربعين وسبعمائة، ولم يعهد نظيره فإنه طبق الأرض شرقاً وغرباً ، ودخل حتى مكة المشرفة ، ووقع في الحيوانات أيضاً))

---

[1] – البار ، د. محمد علي في دراسته في كتاب السيوطي : مارواه الواعون في أخبار الطاعون ، ص 20.

[2] – البار (المصدر نفسه) ص 27 .

وبلغ الموت في القاهرة كل يوم زيادة عن عشرين ألفاً .

ثم ظهر في سنة أربع وستين وسبعمائة بالقاهرة ودمشق، واستمر بالظهور والاختفاء طوال القرن الثامن والتاسع الهجريين.

الوباء العالمي الثالث :

ظهر في القرن الخامس عشر الميلادي واجتاح معظم أوربا . . ثم إختفى . ثم ظهر طاعون لندن الشهير عام 1664-1665م / 1074- 1075 هـ ، وقتل من سكان لندن أكثر من سبعين ألفاً . وكان سكانها يقدرون آنذاك بأربعمائة وستين ألفاً .

الوباء العالمي الرابع والأخير في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين :

ظهر في الصين في مقاطعة يونان ستة 1860 ، وظل محصوراً بها ثم وصل هونج كونج عام 1894 ، ومنها انتشر إلى بقية دول آسيا وقتل من سكان الصين أكثر من مائة ألف . وكانت وطأته في الهند شديدة ، ثم انتقل إلى الشرق الأوسط وأفريقيا وأوربا . . وانتقل إلى أمريكا .

ويقول مرجع سيسيل الطبي (الطبعة 17 لعام 1985 ص1600) أنه قتل في الهند عشرة ملايين شخص ، بينما تذكر المصادر الأخرى أن مجمل عدد الضحايا في العالم بلغوا عشرة ملايين شخص . . . وقد استمر هذا الطاعون حتى عام 1914 عندما قامت الحرب العالمية الأولى .

والمهم في هذا الوباء الأخير إكتشاف جرثومة الطاعون عام 1894 في هونج كونك من قبل العالم " الكسندر يرسين" وسميت بالباستوريلا الطاعونية Pasteurella Pestis ثم عدل هذا الإسم سنة 1970، وأعطيت له إسم مكتشفها فأصبحت معروفة باسم : الطاعونية اليرسينية Yersinia Pestis.

وآخر طاعون حدث بصورة وباء كان بالهند عام 1994 ، وقد أثار فزعاً ورعباً ، ولكنه كان محدوداً فالإصابات بلغت المئات وربما جاوزت الألف ، بينما كانت الوفيات المعلنة لم تتجاوز العشرات . . . ويرجع السبب إلى سرعة اتخاذ الإجراءات الوقائية وإعطاء الأشخاص في منطقة الوباء عقار التتراسايكلين ، كما تم القضاء على الفئران والبراغيث باستخدام مكثف للمبيدات الحشرية وللمواد القاتلة للفئران . . ولا يبدو ان للتطعيم بالفاكسين دور مهم في إيقاف مدَ الطاعون في الهند .

ويبدو والله أعلم أن عهد الطاعون كوباء عالمي يحصد الملايين قد انتهى .

مصادر الكتاب

اولاً : الكتب :

– إبن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس أحمد : عيون الأتباء في طبقات الأطباء ، إصدار دار الفكر العربي – بيروت 1956.

– إبن زهر ، أبو مروان عبد الملك : التيسير في المداواة والتدبير ، تحقيق ميشيل الخوري ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، طبع على نفقة الحكومة الليبية ، بدون تاريخ

– إبن رضوان ، علي : رسالة في دفع مضار الأبدان بأرض مصر ، تحقيق د. رمزية الأطرقجي ، جامعة بغداد – 1988 .

– إبن سينا ، ابوعلي الحسين بن علي : القانون في الطب – مكتبة المثنى ، بغداد (طبعة بالأوفسيت) بدون تاريخ .

– إبن الأثير ، عز الدين إبن أبي الحسن علي الشيباني : الكامل في التاريخ ، دار صادر – بيروت 1979 .

– إبن المطران ، أبو نصر أسعد : بستان الأطباء وروضة الألباء ، تحقيق الدكتور عبد الكريم أبو شويرب ، طرابلس – ليبيا 1993.

– أرنولد، توماس : تراث الإسلام ، ترجمة جرجيس فتح الله ، دار الطليعة – بيروت ، ط2 ، 1972.

– الأزرق ، إبراهيم عبد الرحمن : تسهيل المنافع في الطب والحكمة ، نشر عبد الحميد أحمد لطفي – مصر ، بدون تاريخ .

– الأعظمي ، الحاج حمدي : دليل القوانين والأنظمة المرعية في العراق منذ تأسيس القوانين في الحكومة العثمانية (من سنة1274هحتة أواخر سنة 1353ه) – مطبعة الفرات – بغداد 1935 .

– الألباني ، ناصر الدين : مختصر حاشية مختصر صحيح مسلم ج2 .

– الأنطاكي، داؤد : تذكرة داؤد – المطبعة العثمانية المصرية بكفر الزغاري – مصر 1356ه.

- البار، د. محمد علي : العدوى بين الطب وحديث المصطفى ، الطبعى الأولى –جدة ، دار الشروق ، بدون تاريخ .

- البازي، حامد : البصرة في الفترة المظلمة – دار منشورات البصري ، بغداد 1969.

- البلدي ، أحمد بن محمد بن يحيى : تدبير الحبالى والأطفال والصبيان ، تحقيق د. محمود الحاج قاسم محمد ، دار الشؤون الثقافية – بغداد ، ط 2 ، 1978 .

- البلخي ، أبي زيد أحمد بن سهل : مصالح الأبدان ، تحقيق ودراسة د. محمود مصري ، منظمة الصحة العالمية – المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ، القاهرة 2005.

- التميمي ، حمد أحمد حمدان : البصرة في عهد الإحتلال البريطاني 1914-1921 ، مطبعة الإرشاد – بغداد ، بدون تاريخ .

- البنا ، د. عائدة عبد العظيم : الإسلام والتربية الصحية ، الطبعة الأولى 1914.

- الجابري ، متعب خلف : تاريخ التطور الصحي في العراق في الفترة 1914-1932- رسالة ماجستير غير منشورة 1989.

- الجادرجي ، د. يوسف: طبيب الأطفال ، الطبعة الثانية 1968.

- الجراري ، عبد اللهبن العباس : تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوربا – دار الفكر العربي 1961 .

- الجلبي ، الطبيب محمد المهتدي : الطب المختار – مخطوطمكتبة الأوقاف بالموصل رقم 6/18 خزانة داؤود الجلبي .

- الجميلي ، د. السيد : إعجاز الطب النبوي – دار أسامة / دمشق .

- الحريري ، الإشبيلي البغدادي ، عبد الله بن قاسم : نهاية الأفكار ونزهة الأبصار – تحقيق د. حازم البكري ، د. مصطفى شريف العاني ، دار الرشيد ، بغداد1979 .

- الخطابي ، محمد العربي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، دار الغرب الإسلامي – بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى 1988.

- الديواني ، د. مصطفى : حديث في الطب ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر 1969.

- الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا : المنصوري في الطب ، تحقيق د. حازم البكري الصديقي ، معهد المخطوطات العربية – الكويت 1987.

– الرازي : أبي بكر محمد بن زكريا : الحاوي في الطب – مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند ، ج4 ، ط2 ، 1974 .

– الرازي، أبي بكر محمد بن زكريا: رسالة تدبير الصبيان ، كتاب ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي ، تحقيق وترجمة د. محمود الحاج قاسم محمد عن الإنكليزية ، بيت الحكمة – بغداد 2001 .

– الرحيم ، د. عبد الحسين مهدي : الخدمات العامة في بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد 1987.

– الزهراوي ، أبو القاسم خلف ابن العباس : التصريف لمن عجز عن التأليف مع الترجمة الإنكليزية – نشر معهد ويلكم / لندن 1973.

– سالنامات بغداد 1311 هـ ، 1319هـ ، 1329 هـ/ 1893 م ،1901م ،1911 م.

– سالنامة ولاية البصرة لسنة 1308هـ/1890م.

– السيوطي ، الإمام جلال الدين : ما رواه الواعون في أخبار الطاعون ، تحقيق د. محمد علي البار ، دار القلم –دمشق1997.

– الشطي ، د.شوكت : الوجيز في الإسلام والطب ، مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة الأولى1960 .

– الصوفي ، أحمد : أرض السواد – مطبعة الإتحاد الجديدة-الموصل 1955.

– الطبري ، أحمد بن محمد : المعالجات البقراطية ، مخطوطة دار الكتب المصرية .

– العامر ، يقضان سعدون : البصرة في العهد العثماني الأخير – موسوعة البصرة الحضارية (الموسوعة التاريخية) .

– العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين إحتلالين ، شركة التجارة والطباعة المجدودة ، بغداد، ج4، ج5 ، ج6 ، ج8 - 1954

- العمري ، محمد أمين بن خير الله الخطيب : منهل الأولياء – تحقيق سعيد الديوجي ، مطبعة الجمهورية ، الموصل 1967.

- العمري ، ياسين : منية الأدباء – تحقيق سعيد الديوجي ، الموصل 1955.

- العمري ،ياسين : زبدة الآثار الجلية – تحقيق د.عماد عبد السلام رؤوف ، النجف 1974.

- الفنجري ، د. أحمد شوقي : الطب الوقائي في الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985 .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، وزارة الثقافة والإرشاد ، مصر – بدون تاريخ .

- القهواتي ، حسين محمد : دور البصرة التجاري في الخليج العربي ، بغداد 1980 .

- الكركوكلي ، الشيخ رسول : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء – نقله عن التركية موسى كاظم نورس ، مكتبة النهضة – بغداد ، بدون تاريخ

- الموجز في الطب والصيدلة والصيدلة عند العرب ، قام بتأليفه مجموعة من الباحثين بأشراف د. محمد كامل حسين – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، طبع على نفقة الحكومة الليبية – بدون تاريخ .

- المجوسي ، على ابن العباس : كامل الصناعة الطبية – المطبعة الكبرى بالديار المصرية ، 1294هـ/1877م .

- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب – وزارة الثقافة والإرشاد ، مصر – بدون تاريخ ، ج10 .

- الورد، باقر أمين : حوادث بغداد في 12 قرن – مكتبة النهضة –بغداد 1989.

- الوتري ، د. هاشم / د. معمر الشابندر : تاريخ الطب العراقي – بغداد 1939.

- بن سعيد ، عثمان : مطالع السعود – تحقيق عماد عبد السلام رؤوف وسهيلة عبد المجيد القيسي ، الدار الوطنية للنشر 1991 .

- بن ميلاد ، الحكيم محمد : الطب العربي التونسي في عشرة قرون ، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل – تونس 1980.

- جاك .س.ريسلر : كتاب الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون .
- ج.ج.لوريمر : دليل الخليج – القسم التاريخي ، ج6 ، طبعة جديدة – إعداد قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر (الدوحة) .
- جميل ، فؤاد : رحلات إلى العراق – بغداد 1966.
- حسين ، د. محمد كامل : طب الرازي – دراسة تحليلية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1977.
- حكمت ، د. عبد الحكيم : استكشافات طبية أو المسح الجغرافي الطبي لولايات اليمن والحجاز وبغداد – مخطوط باللغة التركية العثمانية – مكتبة جامعة إسطنبول رقم 4350 .ترجمة د. محمود الحاج قاسم محمد ، نشر جامعة الموصل 2014.
- حلاج ، زهير : الصحة العامة ، اللاذقية –جامعة تشرين ، ط1 ، 1981.
- خير الله ، د. أمين أسعد : الطب العربي ، بيروت 1946.
- رحلة فريزر إلى بغداد : ترجمة جعفر خياط ، بغداد 1964 .
- طوقان ، قدري حافظ العلوم عند العرب ، مكتبة مصر بالفجالة 1956.
- فيضي ، سليمان : في غمرة النظال – بغداد 1952 .
- قاري، لطف الله : إضاءة زوايا جديدة للتقنية العربية الإسلامية ، مجموعة دار الجسر للطباعة والنشر – الرياض 1416هـ/1996م.
- لونكليرك ، ستيفن هيمسلي : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، الطبعة السادسة .
- محمد ، د. محمود الحاج قاسم محمد : تاريخ طب الأطفال عند العرب _ مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد ، ط3 ، 1989.
- محمد ، د. محمود الحاج قاسم: الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات ، الدار السعودية للنشر – جدة 1987 .
- نوفوصيل بيردي : الحياة في العراق منذ قرن 1814- 1914 ، ترجمة أكرم فاضل ، دار الجمهورية ، بغداد 1968.

ثانياً : المجلات والدوريات :

– ابو الحب ، د. جليل كريم : مقال مجلة المورد العدد4، مجلد 7 ، 1974

– البار ، د. محمد علي : بحث الإعجاز الطبي في الأحاديث الواردة في العدوى – فصل في كتاب أبحاث في العدوى والطب الوقائي ، إصدار رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة 1987 .

– البقاعي ، محمد خير : الحجر الصحي في الحجاز 1865-1914م لجولدن صاري يلدز (محاضرات من الأنترنيت / تاريخ الطب والعلوم / الحجر الصحي في الحجاز(2008/10/5)

– أوزباي ، د.كمال : الطبابة العسكرية في العراق في أواخر الدولة العثمانية ، تعريب د. محمود الحاج قاسم – المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، مؤسسة التميمي ، زغوان – تونس ن العدد 22، ايلول 2000 .

– علي، د. داؤد سلمان : الأوضاع الصحية في بغداد أثناء الفترة المظلمة من تاريخها من الإحتلال العثماني إلى الإحتلال البريطاني – ندوة بغداد دار السلام 1990 .

– محمد، د. عبد الحافظ حلمي _ التقي، د. منى : تاريخ الليشمانيا الجلدي ودور العلماء المسلمين فيه – أبحاث مؤتمر الطب الإسلامي الأول ، الكويت 1401هـ/1980م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

المقدمة..... 5
القسم الأول : المفهوم العام للعدوى والأمراض المعدية..... 9
الفصل الأول : مفهوم العدوى والأمراض عند الأمم السابقة..... 11
- مفهوم العدوى والأمراض في طب وادي الرافدين..... 12
- مفهوم العدوى والامراض في الطب المصري القديم..... 13
- مفهوم العدوى والامراض في الطب اليوناني..... 13
- مفهوم العدوى والامراض في الطب عند العرب قبل الإسلام..... 15
الفصل الثاني : مفهوم العدوى والأمراض المعدية والوباء في الإسلام..... 17
اولاً : مفهوم العدوى في الطب النبوي..... 17
ثانياً : مفهوم العزل في الطب النبوي..... 21
ثالثاً : مفهوم الحجر الصحي في الطب النبوي..... 22
رابعاً : المفهوم العام للوباء والطاعون عند الفقهاء..... 23
خامساً : المصنفات والرسائل في الطاعون والوباء عند العرب والمسلمين..... 24
الفصل الثالث : مفهوم العدوى والأمراض المعدية عند الأطباء العرب والمسلمين..... 31
الإشارات الدالة على معرفة الأطباء العرب والمسلمين للعدوى في انتقال الأمراض..... 32
الفصل الرابع : الأمراض المعدية والسارية التي جاء ذكرها في الكتب الطبية العربية..... 39
أولاً: الأمراض المعدية التي تتسبب عن الأحياء الدقيقة (المكروبات أو الفايروسات)..... 39
ثانياً : الأمراض المعدية التي تتسبب عن الطفيليات 43
ثالثاً : الديدان..... 45
الفصل الخامس: الوقاية من الأمراض الوبائية بالتطعيم..... 49
- العرب عرفوا أسس علم الحصانة ضد الأمراض..... 49
- لقاح الجدري عند العرب..... 49
- إنتقال الطريقة العربية للتلقيح ضد الجدري إلى أوربا..... 50
- إدوارد جنر مكتشف الطريقة الأمينة للتلقيح ضد الجدري..... 51

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القسم الثاني : صحة البيئة والحفاظ على سلامتها في الإسلام والتراث..... 53
الفصل الأول : وسائل الإسلام في حماية البيئة ومنع تلوثها..... 55
1- نظافة الطعام والشراب..... 56
2- نظافة مصادر المياه..... 57
3- نظافة المساجد والمساكن والطرقات..... 57
4- سلامة الهواء من الغبار..... 58
5- منع اقتناء الكلاب إلا للضرورة..... 59
6- قتل الحيوانات والحشرات الضارة بالإنسان..... 59
7- الإسراع والإتقان في دفن الميت..... 60
التعاليم الوقائية عند حدوث الأوبئة..... 61
1- العزل..... 61
2- الحجر الصحي..... 61
الفصل الثاني : صحة البيئة وأسباب تلوثها في التراث العربي الإسلامي..... 65
1- فساد الهواء..... 66
2- العدوى المباشرة من المريض..... 68
3- تلوث المياه والمياه الصالحة للشرب..... 69
4- السكن غير الصحي وشروط السكن الصحي..... 71
5- الحيوانات والحشرات المسببة للأمراض..... 72
6- رقابة الدولة على المرافق العامة والطرق للحفاظ على الصحة وسلامة البيئة.....73
القسم الثالث : الأوبئة التي انتشرت في البلاد العربية الإسلامية عبر التاريخ.....76
الفصل الأول : الأوبئة التي انتشرت في العصور الإسلامية.....78
1- وباء الطاعون.....78
2 – داء الكلب.....80
3- الوباء (الكوليرا)..... 80
4- الأمراض الدموية.....80
5- الحميات ووجع المفاصل.....80
6- أورام الحلق والماشرا والخوانيق..... 80

7- الجدري..... 81
الفصل الثاني : الأمراض والأوبئة التي اجتاحت العراق في العهد العثماني
ووسائل الوقاية منها..... 83
اولاً : أهم الأوبئة التي ذكرها المؤرخون في هذه الفترة..... 84
أ- الطاعون..... 84
ب – الكوليرا (الهيضة = أبو زوعة)..... 87
ج – الأوبئة الأخرى..... 89
ثانيا : وسائل الوقاية من الأمراض والأوبئة..... 91
أ- الحجر الصحي..... 92
ب – دور طبابة البلدية في البصرة في الوقاية من الأمراض..... 93
ج – التطعيم.....94
الفصل الثالث : الأوبئة العالمية..... 97
مصادر الكتاب..... 99
الفهرس..... 105

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

لقد كانت رحلة البشر مع المرض صراعاً موغلاً في القدم، عنيفاً قدر شدة الأدواء التي يصادفها الإنسان ، مديداً ما امتدت الحياة على الأرض، ومن هذه العلاقة وهذا الصراع نجم التعرف على الأمراض وانتشارها ومعالجتها ومحاولة الوقاية منها .

إلا أنه باستعراض الكتب التي أرخت لتاريخ الطب العربي لا نجد سوى إشارات متناثرة لمفهوم الأوبئة والعدوى والأمراض المعدية والوقاية منها ، حيث لم ينل هذا الفرع المهم من فروع الطب العناية الكافية من لدن مؤرخي الطب العربي ، الأمر الذي جعل جمعها وتصنيفها بشكل علمي أمراً في غاية الأهمية.

المؤلف

ISBN
9 789922 925523

دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع
العراق - الموصل
ص. ب. 11019
المجموعة الثقافية
07701664335
mashky2019@gmail.com

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في